

وقف لله تعالى  
ولا يجوز بيعه

سلسلة  
وقفات تربوية  
في ضوء القرآن الكريم

المجلد السادس

وقد خاب من حمل ظلماتنا

[سورة طه: ٦١]

عبد العزيز بن سناصر المجليل



# حقوق الطب مع محفوظة للمؤلف

إلا لمن أراد طبَّعه وتوزَّيعه

مجاناً

بعد أخذ الإذن من المؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ

رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٧٥٠٣

ISBN: 798-977-430-226-8

القسطاوي

للطباعة والتجليد

٠٠٢٠١٣١٩٩٩٥٥٥

وقف الله تعالى  
ولا يجوز بيعه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن الله عز وجل الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا وله الحكمة البالغة والعلم المحيط والرحمة الواسعة قد أقام خلق السموات والأرض وما بينهما على الحق والقسط؛ حيث قال سبحانه: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

وإن أحق الحق وأعدل العدل: توحيد الله عز وجل والاستسلام له والخضوع لأمره، ومن رحمته سبحانه أن جعل ذلك مستقراً في فطر عباده المكلفين، وكلما اجتالتهم الشياطين عن هذا الحق وخيم الظلم

والشرك على الناس أرسل إليهم سبحانه الرسل وأنزل عليهم الكتب لإنقاذهم من الظلمات إلى النور حتى لا يشقوا ويندوا عن هذا الحق الأصيل، الذي قام عليه الكون كله، والذي به تحصل السعادة البشرية وصلاحتها ونماؤها.

ولحكمة عظيمة أراد الله عز وجل أن يوجد الصراع بين الحق المتمثل في التوحيد وطاعة الله عز وجل وبين الباطل المتمثل في الشرك وما يفرزه من الظلم بشتى صورته. وحققت كلمة الله عز وجل في عباده وشهد تاريخ البشرية ذلك الصراع الطويل بين حزب الله المفلحين المقسطين وبين حزب الشيطان الظالمين الخاسرين، واقتضت حكمة الله عز وجل أن يستمر هذا الصراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن رحمته سبحانه أن لا يترك الظلم والظالمين بلا مدافع بل يقيض الله عز وجل له من يدفعه حتى تكون العاقبة للمتقين.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

وإن المتأمل في حال البشرية اليوم وما تعج به من الظلم بشتى صورته وما يقاسيه الناس من ظلم بعضهم لبعض، أو من ظلم أنفسهم بالشرك وما دونه من المعاصي ليدرك - عند مقارنة ذلك بمسلسل

الظلم في تاريخ البشرية - أن ما يعيشه الناس اليوم في أكثر بقاع الأرض ليعد من أشد الأزمنة التي مرت على البشرية ظلماً وعدواناً، وهذا بدوره يؤكد على ضخامة الجهد والتضحيات التي يجب أن تبذل في مواجهة هذا الظلم العظيم وذلك في الصراع بين حزب الله الموحدين وبين حزب الشيطان الظالمين.

وإسهاماً في كشف بعض جوانب الظلم في زماننا اليوم، وذكر بعض صورته وأخطاره وسبل توقيه، جاءت هذه الرسالة من رسائل الوقفات التربوية في ضوء القرآن الكريم، وقد انطلقت فيها من قول الله عز وجل: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

وإبرازاً لأهمية هذا الموضوع أسوق بعض النقاط التي تبرز من خلالها الحاجة إلى طرحه ومعالجته وبالأخص في زماننا الحاضر:

(١) التحذير الشديد من الظلم وآثاره وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة، وهذا التحذير يجده المتدبر لكتاب الله عز وجل وأحاديث الرسول ﷺ حيث ورد ذكر الظلم والظالمين في مواضع كثيرة من القرآن؛ مرةً في معرض ذمّه والتشنيع على أهله، ومرةً بذكر ما حلّ بالظالمين من النكال والعذاب في الدنيا وما ينتظرهم من عذاب الآخرة، ومرةً بدعوة الظالمين إلى التوبة وترك الظلم، ومرةً بذكر أنواعه وصوره.

وقد حاولت حصر الآيات التي ورد فيها ذكر الظلم وما تصرف عنه فوجدتها تقرب من مائتين وأربعين موضعاً<sup>(١)</sup> ولا غرابة في ذلك؛ فكل مخالفة تقع من العبد لأمر الله سبحانه فهي ظلم منه لنفسه؛ سواء ما كان منها بين العبد وربّه، أو ما كان منها بينه وبين الخلق، وسواء كان هذا الظلم شركاً أكبر أو كان دون ذلك.

(٢) ما ظهر في هذا الزمان في أكثر بلاد المسلمين من نبذ للشرعية والتحاكم إلى القوانين الوضعية التي تقن الظلم فتهدر قيمة الإنسان وتحطم القيم والأخلاق، وتجعل الناس مستعبدين لحفنة من شياطين الإنس الذين كرهوا ما أنزل الله تعالى فظلموا وبغوا في الأرض بغير الحق. وإن أخطر ما في هذا الظلم المقن محاولة أربابه من شياطين الإنس إظهاره في صورة الإصلاح والحزم والحنكة وقوة السياسة، ويلبسون على الناس بهذه المزاعم فينخدع منهم من ينخدع وقليل هم الذين يفطنون لهذا التضليل، ويكشفون زيفه، ويبينون عواره للناس.

وقد ذكر الله عز وجل لنا في كتابه الكريم هذا الصنف من الناس بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ

(١) تم استقراء هذا العدد من كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

[البقرة: ١١، ١٢].

(٣) ومما يؤكد أهمية الكتابة في هذا الموضوع ما نراه في هذه الأزمنة من ظلم وعدوان بين المسلمين، ليس بين فساقهم ومجرميهم فحسب، بل تعدى ذلك إلى بعض الدعاة وطلاب العلم، وأصبحنا نسمع من يجور في حق أخيه، ويتكلم فيه بغير علم ولا عدل، وصرنا نرى مواقف جائزة يندى لها الجبين، تبخس فيها الحقوق، وتتهم فيها النيات، وتتبع فيها الشائعات، وبيحث فيها عن الزلات والسقطات. ويبلغ الجور غايته حين يُتهم أهل الخير والغيرة بالبدع والضلالات.

ولعله يكون في هذه الدراسة نصح لنا معاصر المسلمين – وبخاصة الدعاة – لنحذر هذه الأمراض حتى لا يبغى بعضنا على بعض بل نكون كما قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

(٤) انفتاح الدنيا في هذا الزمان بشكل لم يسبق له نظير؛ مما نشأ عنه صور جديدة من الظلم لم يكن لها وجود من قبل؛ ذلك لأن هذا الانفتاح قد صاحبه أعمال وممارسات ونظم وأساليب معقدة ومتشابكة، فأصبح لكل عمل نظام يرتبه ويدبر شؤونه. ولما كانت

أغلب هذه الأنظمة في أكثر البلدان من صنع البشر ولا يحكمها شرع الله عز وجل فلا جرم جاءت بالظلم والوبال والشقاء على أهلها ومن تعامل معها. ولا أدل على ذلك من كثرة المنازعات والخصومات والمظالم التي تغص بها محاكم المسلمين اليوم بكل تعقيداتها بينما لم تكن منازعات الناس فيما مضى من الزمن - الذي لم يشهد هذا الانفتاح ولم يشهد هذه التنحية لشرع الله عز وجل - ولا معشار معشار ما تشهده المحاكم اليوم في أكثر بلدان المسلمين.

(٥) توجيه النصح للظالمين بالكف عن الظلم لأنفسهم أو لغيرهم وأن يحذورا يوم الفصل والقضاء بين يدي الله عز وجل؛ يوم يوضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وأن يخشوا ما أعدده الله عز وجل للظالمين من النكال والعذاب ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢]. فما أتعس الظالمين وأشقاهم في دنياهم وأخراهم.

كما أن في هذه الرسالة توجيه العزاء والمواساة للمظلومين بأن لا ييأسوا وأن يخلصوا صبرهم لله عز وجل؛ فإن لهم يوماً موعوداً يوفون فيه أجورهم، وينصرون فيه، وينتقم الله لهم فيه ممن ظلمهم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢].

قال ميمون بن مهران - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية: «فيها تعزية للمظلوم ووعيد للظالم»<sup>(١)</sup>.

﴿٦﴾ قلة الإنصاف في هذا الزمان وتلبس الكثير منا ببعض المظالم والعدوان، والتي قد تبلغ من الخفاء بحيث لا يشعر بها فاعلها، وهذا يكثر بين الرجل وولده أو والده أو زوجه أو موظفيه. وقد يشعر بها لكنه يسعى جاهداً لتبرير ظلمه بدعوى الحزم والضبط ومتطلبات الإدارة الجيدة.

وكم رأينا صوراً من الظلم كثيرة يكون المتلبس بها غير شاعر بوجودها لدقتها وحساسيتها، أو أن يقر بوجودها لكنه لا يقرّ بكونها ظلماً بل يدافع عن ممارسته لها بمبررات شتى إما عن جهل وشبهة أو عن علم وشهوة.

وكون الشخص الواقع في الظلم معترفاً به ويسعى جاهداً للتخلص منه أهون بكثير من ذلك الذي يدفعه هواه إلى تبرير ظلمه، وأن ما يقوم به هو الحق والصواب، وبالتالي يستمرئ ظلمه ويتمادى فيه، ولعل في هذه الرسائل التنبيه لبعض هذه الصور الخفية والحذر من الهوى في البقاء على الظلم والعدوان.

(١) حلية الأولياء ٤ / ٨٣.



(٧) ابتعاد كثير من الناس عن التفسير الإسلامي للأحداث والمصائب والغفلة الشديدة عن فهم السنن الربانية في هلاك القرى وعذابها وأن ما يصيب البلاد والعباد من الكوارث والجذب والقحط والخوف والجوع وغيرها من المصائب إنما هو بسبب ظلم الناس وكفرهم بأنعم الله عز وجل وآلائه .

لقد غفل كثير من الناس عن هذه المسلمات؛ ولا أدل على ذلك من أن مثل هذه الكوارث لم يتعظ بها الأكثرون، ولم ترجعهم إلى الله عز وجل بالتوبة والإنابة، وإنما الواقع هو تأثر الكثير منهم بما تبثه وسائل الإعلام المختلفة من إحالة أسباب الكوارث إلى الطبيعة واختلاف دورة الفلك وغيرها من الأساليب المادية فحسب، والتي تبعد الناس عن ربهم عز وجل وسننه سبحانه في التغيير. فلعله أن يكون في هذه الدراسة إيضاح لهذه السنن الربانية والتي يجب أن نرتبط بها ونجعلها منهاجنا في التغيير وتفسير الأحداث؛ قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [١١] ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [١٢] ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [١٣] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [١٤] ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ

حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ [الأنبياء: ١١ - ١٥].

(٨) قلة الكتب التي ألفت في هذا الموضوع؛ فعلى أهميته ومسيس الحاجة إلى طرحه والتحذير من عواقبه إلا أنني بعد البحث المتواضع والاستقراء لما في المكتبة الإسلامية حول هذا الموضوع لم أجد حسب علمي إلا كتابات يسيرة تعد على الأصابع أفردت لهذا الموضوع بحثاً مستقلاً، ولكنها غير وافية، ولقد وجدت أيضاً فصولاً متناثرة في بعض كتب الآداب والترغيب والترهيب تتحدث عن الظلم والتحذير منه، وهي لا شك كثيرة إلا أنها لا تغطي إلا أجزاء متفرقة من جوانب هذا الموضوع المهم الخطير، فاستعنت بالله عز وجل وشرعت في جمع ما يتعلق بموضوع الظلم حسب الطاقة وجهد المقل، أسأل الله عز وجل أن ينفعني وإخواني المسلمين به، وأن يرزقني الإخلاص والصواب في القول والعمل إنه سميع مجيب.

هذا، وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

– فالمقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه وخطة البحث.

– وأما المباحث فهي على النحو الآتي:

[ ١ ] تعريف الظلم وما ورد في ذمه من بعض الآيات والأحاديث.

[ ٢ ] أقسام الظلم.

- أ- ظلم النفس بالظلم الأكبر وذكر بعض صورته .  
ب- ظلم النفس بظلم العباد وذكر بعض صورته .  
ج- ظلم النفس بالمعاصي التي دون الشرك وذكر بعض صورته .

[ ٣ ] من آثار الظلم وعواقبه .

[ ٤ ] بعض الأسباب المعينة على توقي الظلم .

- ثم الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والنصائح المستخلصة من المباحث السابقة .

\* \* \*

## المبحث الأول

### تعريف الظلم

#### وذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذمه

يعرف صاحب المفردات الظلم بقوله: «والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته، ويسمى ذلك اللبن ظليماً. وظلمت الأرض: حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر، وتلك الأرض يقال لها المظلومة، والتراب الذي يخرج منها ظليم»<sup>(١)</sup> اهـ.

وفي القاموس المحيط: «الظلم بالضم: وضع الشيء في غير موضعه»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وفي ضوء هذه التعريفات يتبين لنا أن كل ذنب عُصي الله به بفعل محرم أو ترك واجب - وسواء كان ذلك الذنب شركاً بالله عز وجل أو دون ذلك من سائر المعاصي ومظالم العباد - كل ذلك داخل في مسمى

(١) المفردات في غريب القرآن للربيع الأصفهاني ص: ٣١٥.

(٢) القاموس المحيط: ص ١٤٦٤

الظلم؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه الذي يرضاه الله عز وجل، مع التفريق بين ظلم أكبر وظلم دون ظلم كما سيتبين في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

والظلم مصدر ظلم، والذي يفهم من لفظ الظلم وجود ظالم صدر منه الظلم ومظلوم وقع عليه الظلم، فمن هو الظالم والمظلوم في ضوء الكتاب والسنة؟ إنه هذا الإنسان المسكين فهو الظالم والمظلوم. حيث ظلم نفسه وأوبقها، وظلم عباد الله عز وجل فأساء إليهم وأساء إلى نفسه وظلمها بما يعرضها للعقوبات في الدنيا والآخرة. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَانفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والعدل هو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب، كما أن الظلم فساد، ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالماً لنفسه. والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه؛ بل ظلمها. فصلاح القلب في العدل، وفساده في الظلم، وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم، كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه؛ فمنه العمل وعليه تعود ثمرة

العمل من خير وشر. قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] (١).

والآيات الواردة في ذم الظلم وأهله كثيرة جداً ومتنوعة، ويمكن تقسيمها إلى المجموعات التالية:

**المجموعة الأولى:** ما ورد منها في تنزيه الله تعالى نفسه عن الظلم وأمره سبحانه بالعدل ومحبه للمقسطين ومنها:

○ قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [٣١] ﴿غافر: ٣١﴾.

○ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٤٤] ﴿يونس: ٤٤﴾.

○ وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [٤٧] ﴿الأنبياء: ٤٧﴾.

○ وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤٦] ﴿فصلت: ٤٦﴾.

○ وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٩] ﴿الحجرات: ٩﴾.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٩٨/١٠.

○ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]

○ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

○ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

○ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢].

○ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المائدة: ٨].

○ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

○ وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

المجموعة الثانية: ما ورد من الآيات في وصف الشرك والمشركين بالظلم والظالمين. ومنها:



○ قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾  
[لقمان: ١٣].

○ وقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤].  
○ وقوله تعالى: ﴿احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا  
يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [الصفات: ٢٢]

○ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْعَدُ بآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾  
[العنكبوت: ٤٩].

○ وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ  
الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [الحشر: ١٧].

○ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾  
[الشعراء: ١٠ - ١١].

○ وقوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ [القصص: ٤٠].

والآيات التي تصف الكفر والشرك بالظلم وتصف أهله بالظالمين  
كثيرة؛ بل إن المستقرى لما ورد في كتاب الله عز وجل عن الظلم  
والظالمين يرى أن جل هذه الآيات قد ورد في معرض الحديث عن الأمم  
الكافرة المكذبة لرسولهم.

ولا غرابة في ذلك فكفى بالشرك ظلماً عظيماً من الإنسان لنفسه



ولعباد الله عز وجل.

**المجموعة الثالثة:** ما ورد منها في وصف ما دون الشرك من المعاصي بالظلم سواء ما كان منها بين العبد وربّه أو ما كان منها ظلماً للعباد، وهي كثيرة منها:

○ قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

○ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ وَمَنْ يَصِرْ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

○ وقوله تعالى عن الأبوين: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

○ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

○ وقوله تعالى عن السارق: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

○ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ [النساء: ١٠].

○ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].

○ وقوله تعالى عن دعوة ذي النون عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

○ وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ [الشورى: ٤١، ٤٢].

المجموعة الرابعة: ما ورد منها في ذكر خيبة الظالمين ومقت الله لهم وعدم هدايتهم وتوفيقهم، ومنها:

○ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ [المائدة: ٥١].

○ وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

○ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الأنعام: ٢١].

○ وقوله تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لعنةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: ١٨].

○ وقوله تعالى: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿٢٧﴾

[إبراهيم: ٢٧].

○ وقوله تعالى: ﴿ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ [المؤمنون: ٤١].

○ وقوله تعالى: ﴿ وَعَنْتِ الرَّجُلُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

ظُلْمًا ﴾ ﴿١١١﴾ [طه: ١١١].

**المجموعة الخامسة:** ما ورد منها في ذكر إهلاك الله عز وجل للظالمين

في الدنيا وما أعد لهم من النكال والعذاب في الآخرة، ومنها:

○ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

○ وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا

آخَرِينَ ﴾ ﴿١١﴾ [الأنبياء: ١١].

○ وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ

جَاثِمِينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ [هود: ٩٤].

○ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ

عَلَى اللَّهِ غَيْرِ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣].

○ وقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٦٥﴾

[الزخرف: ٦٥].

○ وقوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ [سبأ: ٤٢].

○ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [النحل: ٨٥].

○ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٩﴾

[الفرقان: ١٩].

أما الأحاديث والآثار الواردة في ذم الظلم وسوء عاقبة الظالمين فكثيرة جداً، أقتصر منها هنا على بعض الأحاديث التي وردت في ذم الظلم وسوء عاقبة الظالمين بعامة، وأرجئ الأحاديث التي وردت في ذم أفعال معينة ووصفها بالظلم إلى المباحث القادمة إن شاء الله تعالى. ويلاحظ أن معظم هذه الأحاديث كانت تتوجه إلى صورة واحدة من صور الظلم ألا وهي ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم.

**ومن هذه الأحاديث العامة ما يلي:**

**الحديث الأول:** عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قال تبارك وتعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...) الحديث القدسي. <sup>(١)</sup> وكان أبو إدريس الخولاني رحمه الله تعالى إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة.

**الحديث الثاني:** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ( اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة )<sup>(١)</sup>.

**الحديث الثالث:** عن أبي معبد مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: ( ... واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب )<sup>(٢)</sup>.

**الحديث الرابع:** عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته )، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]<sup>(٣)</sup>.

**الحديث الخامس:** عن أبي بكر نافع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه فيما يرويه عن رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع أنه قال: ( ... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا

(١) مسلم (٢٥٧٨) في البر والصلة. باب تحريم الظلم.

(٢) البخاري / ك المظالم [٥ / ١٢١ (٢٤٤٨) الفتح]، ومسلم بأطول منه

(١٩) ك الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين.

(٣) البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣).

ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض... الحديث (١).

**الحديث السادس:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه وماله فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه حين لا يكون دينار ولا درهم؛ فإن كان له عمل صالح أخذ له منه بقدر مظلمته وإلا أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه) (٢).

**الحديث السابع:** عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه سمعه من رسول الله صلى الله عليه لم أسمعه منه، فابتعت بعيراً وشدت عليه رحلي، وسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأرسلت إليه أن جابراً على الباب. قال: فمضى إليه الرسول فخرج إليّ فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه في الظالم لم أسمعه منه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: (يحشر الله العباد أو قال الناس - وأوماً بيده إلى الشام - عراة غرلاً بهما، قلت: ما بهما؟

(١) الحديث بطوله رواه البخاري في المغازي (٤٤٠٦)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩).

(٢) البخاري (٢٤٤٩) في المظالم باب من كانت له مظلمة عند الرجل، والترمذي (٢٤٢١).

قال: ليس معهم شيء، قال: فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: (أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، قلنا: وكيف وإنما تأتي الله عراة غرلاً بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات) (١).

الحديث الثامن: عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] قال الزبير: يا رسول الله، أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: (نعم) فقال: إن الأمر إذن لشديد (٢).

والأحاديث في ذم الظلم وأهله وسوء عاقبته كثيرة جداً أكتفى بما أوردته منها هنا، وسيأتي ذكر طائفة أخرى منها في مباحث قادمة إن شاء الله تعالى.

وأختتم هذا المبحث بذكر جملة من مواقف السلف رحمهم الله

(١) البخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحاكم في المستدرک ٤٣٧/٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) الترمذي / ك التفسير من سورة الزمر ٣٦٧/٨ (٣٢٣٤) وقال: حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٤).



تعالى من الظلم وخوفهم الشديد من سوء عاقبته في الدنيا والآخرة:

○ قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عوف بن الحارث: سمعتُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: دعنتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك كله وحللك من ذلك، فقالت: سررتني سرَّك الله، وأرسلت إليَّ أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك<sup>(١)</sup>.

○ وقال الليث بن سعد وغيره: كتب رجلٌ إلى ابن عمر أن اكتب إليَّ بالعلم كله. فكتب إليه: إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم، فافعل<sup>(٢)</sup>.

○ وعن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال: لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن، يعني إلى الدار، ثم اجمعوا لي أموالي وخدمي وجيراني ومن كان يدخل علي. فجمعوا له، فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٢٢.



بيدي أو بلساني شيء، وهو - والذي نفس عبادة بيده - القصاص يوم القيامة، وأخرج عليّ أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي. فقالوا: بل كنت والدأ وكنت مؤدباً، قال: - وما قال لخدّام قط سوء - أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد<sup>(١)</sup>.

○ وعن موسى بن عقبة قال: لما ولي عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته، فلقبهم بالبشر وأنزلهم، وأكرمهم. فأقاموا أياماً ثم كلموه في الصلة، وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير - وكانوا خمسة - فردّوها وتسخطوا ونالوا منه. فقال: أي بني عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُعد شقتكم، ولكن والله ما حصلتُ إليّ ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وبيع ما لا غنى بي عنه، فاعذروني. قالوا: والله ما عذرك الله، فإنك والي نصف الشام، وتعطي الرجل منا ما جهده أن يبلغه إليّ أهله؟ قال: فتأمروني أسرق مال الله؟ فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إليّ من أن أخون فلساً أو أتعدى. قالوا: قد عذرناك في ذات يدك فولنا أعمالاً نؤدي ما يؤي الناس إليك ونصيب من المنفعة ما يصيبون،

(١) وصايا العلماء عند حضور الموت: ص ٦٥ تحقيق مصطفى عبد القادر

وأنت تعرف حالنا، وأنا ليس نعدو ما جعلت لنا. قال: والله إني لأعرفكم بالفضل والخير ولكن يبلغ عمر أني وليت نفرًا من قومي فيلومني. قالوا: فقد ولاك أبو عبيدة وأنت منه في القرابة بحيث أنت فأنفذ ذلك عمر، فلو وليتنا لأنفذه قال: إني لست عند عمر كأبي عبيدة. فمضوا لا ئمين له<sup>(١)</sup>.

○ وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إياك ودعوات المظلوم فإنهن يصعدن إلى الله كأنهن شرارات من نار»<sup>(٢)</sup>.

○ وقال ميمون بن مهران: «الظالم والمعين على الظلم والمحِب له سواء»<sup>(٣)</sup>.

○ وعن سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: «كانوا إذا رأوا الظلم في بلدة خرجوا منها إلى غيرها»<sup>(٤)</sup>.

○ وعن عمر بن ذر، حدثني عطاء بن أبي رباح، قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه، فإذا هو في مصلاه يدهُ على خده، سائلة دموعه، فقلتُ يا أمير المؤمنين! أَلشَّيْءُ حَدَثَ؟

(١) صفة الصفوة ١ / ٦٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٥٠.

(٣) مساوي الأخلاق للخرائطي ص ٢٧٩.

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٥.

قال: يا فاطمة! إني تقلدتُ أمرَ أمة محمد ﷺ، فتفكرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمى المجهد، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذو العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمتُ نفسي فبكيت<sup>(١)</sup>.

○ وقال الشافعي رحمه الله تعالى: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»<sup>(٢)</sup>.

○ وعن خالد بن حماد بن يزيد عن جعونة. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم أما بعد: فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أنني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيت به أو تعمدته، إلا أن يكون وهماً مني، أو أمراً خفي علي لم أتعلمه، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد، ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم، ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثره على فقرائكم في شيء من

(١) سير أعلام النبلاء ٥/١٣١، ١٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٤١.

فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من هذا الدين فله ما بين مائتي دينار إلى ثلاث مائة دينار على قدر ما نوى من الحسنة، وتجشم من المشقة، رحم الله أمراً لم يتعاضمه سفر يحيى الله به حقاً لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق أحيها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم، وكان الله هو المتوحد بذلك فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري والسلام عليكم<sup>(١)</sup>.

○ وعن بشر بن عبد الله بن عمر عن بعض آل عمر أن هشام ابن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما أكلمك به؛ إنهم يقولون: استأنف العمل برأيك فيما تحت يديك، وخل بين من سبقك وبين ما ولوا به من كان يلون أمره بما عليهم ولهم. فقال له عمر: رأيت لو أتيت بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك بأمر واحد فبأي السجلين كنت آخذ؟ قال: بالأقدم ولا أعدل به شيئاً، قال عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي في مالي وفيما سبقني. فقال له سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان: يا أمير المؤمنين امض لرأيك فيما وليت بالحق العدل، وخل عمن سبقك وعمما ولي خيره وشره، فإنك مكثف بذلك. فقال له عمر: أنشدك الله

(١) حلية الأولياء ٥/٢٩٢.

الذي إليه تعود رأيت لو أن رجلاً هلك وترك بنين صغاراً وكباراً فعز الأكاير الأصاغر بقوتهم فأكلوا أموالهم، فأدرك الأصاغر فجاءوك بهم وبما صنعوا في أموالهم ما كنت صانعاً؟ قال: كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها. قال: فأني قد وجدت كثيراً ممن قبلي من الولاة عزوا الناس بقوتهم وسلطانهم، وعزهم بها أتباعهم. فلما وليت أتوني بذلك. فلم يسعني إلا الرد على الضعيف من القوي، وعلى المستضعف من الشريف. فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>.

○ وعن حمزة قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: «أما بعد فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذا ذكر قدرة الله تعالى عليك ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك»<sup>(٢)</sup>.

○ عن جرير قال: قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله تعالى في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت لا أدري، قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا»<sup>(٣)</sup>.

(١) حلية الأولياء ٥ / ٢٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٣١.

(٣) حلية الأولياء ١ / ٢٠٢.

## المبحث الثاني أقسام الظلم

الظلم في حقيقته شيء واحد، وهو كما مر بنا: وضع الشيء في غير موضعه. لكنه يتفاوت من حيث شدته وعظمته وشناعته، ومن حيث الجهة التي وقع عليها الظلم؛ مع أن من صدر منه الظلم هو في حقيقته ما ظلم إلا نفسه؛ لأنه أوبق نفسه بظلمه لها بالمعاصي ومظالم العباد.

وقد ورد عن النبي ﷺ حديث اختلف العلماء في صحته فمنهم من ضعفه ومنهم من صححه، لكنه يستأنس به في هذا المجال، وبخاصة أنه صحيح المعنى، وقد اعتمده كثير من السلف في ذكر أنواع الظلم وصوره.

ونص الحديث كما يلي:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين

لبعضهم من بعض) (١).

وفي ضوء هذا الحديث وما ذكره العلماء حول أنواع الظلم فإنه يمكن تقسيم الظلم إلى قسمين كبيرين يندرج تحتها أنواع الظلم الثلاثة المذكورة في الحديث.

وهذان القسمان هما:

(١) الظلم الأكبر: وهو ظلم العبد نفسه بالكفر والإشراك بالله عز

وجل.

(٢) الظلم الأصغر: وهو ما دون الشرك. وهو نوعان:

أ- ظلم النفس بالمعاصي فيما بينها وبين الله عز وجل.

ب- ظلم النفس بمظالم العباد والتعدي على حقوقهم.

وسيدور الكلام في هذا المبحث إن شاء الله تعالى حول هذه الأنواع

الثلاثة:

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣٤٣٩) من حديث أنس، وقد جاء

بنحوه عن غير واحد من الصحابة. وانظر: صحيح الجامع الصغير

وزيادته ٧٣٤/٢ (٣٩٦١) وقد قال عنه الألباني: حديث حسن عن

البزار، وذكره أيضاً في الأحاديث الصحيحة ١٩٢٧. وانظر: مجمع

الزوائد (٣٤٨/١٠).



( ١ ) ظلم النفس بالظلم الأعظم وهو الإِشراك بالله عز وجل .

( ٢ ) ظلم النفس بظلم العباد .

( ٣ ) ظلم النفس بالمعاصي فيما بينها وبين ربها عز وجل فيما دون الشرك .

ولقد اعتمدت في التقسيمات السابقة على قول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم، فنراه يقول: « ... وإذا كان كذلك، فالظلم ثلاثة أنواع: فالظلم الذي هو شرك لا شفاعه فيه، وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه، لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم، كما قد يغفر للظالم نفسه بالشفاعة. فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع، وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً، بل هو موحد مع ظلمه لنفسه. وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله؛ فبه صار من أهل الشفاعه، ومقصود القرآن بنفي الشفاعه نفي الشرك وهو: أن أحداً لا يعبد إلا الله، ولا يدعو غيره، ولا يسأل غيره، ولا يتوكل على غيره لا في شفاعه، ولا غيرها، فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه، وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب .

كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة، وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعه وغيرها. فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقاً: ما كان فيها شرك، وتلك منتفية



مطلقاً ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وتلك قد بين الرسول ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، فهي من التوحيد، ومستحقها أهل التوحيد.

وأما الظلم المقيد، فقد يختص بظلم الإنسان نفسه، وظلم الناس بعضهم بعضاً، كقول آدم ﷺ وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. ولكن قول آدم وموسى إخبار عن واقع لا عموم فيه، وذلك قد عُرف - والله الحمد - أنه ليس كفراً.

وأما قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. فهو نكرة في سياق الشرط، يعم كل ما فيه ظلم الإنسان نفسه، فهو إذا أشرك ثم تاب، تاب الله عليه. وقد تقدم أن ظلم الإنسان لنفسه يدخل فيه كل ذنب كبير أو صغير مع الإطلاق، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢] فهذا ظلم نفسه مقرون بغيره، فلا يدخل فيه الشرك الأكبر.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه لما أنزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. شق ذلك على أصحاب

النبي ﷺ وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ (إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> . [لقمان: ١٣].

والذين شق ذلك عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فشق ذلك عليهم، فبين النبي ﷺ لهم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى. وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، ومن لم يلبس إيمانه به كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلم نفسه إذا لم يتب، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٢ - ٨]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقد سأل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ عن ذلك فقال: يا رسول الله! وأينما لم يعمل سوءاً؟ فقال: (يا أبا بكر! ألسنت تنصب، ألسنت تحزن،

(١) البخاري في الإيمان (٣٢)، ومسلم في الإيمان (١٢٤).

ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به) (١).

فبين أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة، قد يجزى بسئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه، كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه أنه قال: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح، تقومها تارة وتميلها أخرى، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة) (٢).

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه أنه قال: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم، ولا حزن، ولا غم ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها) (٣).

وفي حديث سعد بن أبي وقاص، قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة، زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة، خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة) رواه أحمد والترمذي وغيرهما (٤).

(١) أحمد (١١/١) وضعف إسناده الشيخ شاکر في المسند (٦٨).

(٢) البخاري في المرضي (٥٦٤٣)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨١٠).

(٣) البخاري في المرضي (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣).

(٤) أحمد (١٧٢/١)، والترمذي في الزهد (٢٤٠٠) وغيرهما. وهو في

السلسلة الصحيحة (١٤٣).

وقال: (المرض حطة يحط الخطايا عن صاحبه، كما تحط الشجرة اليابسة ورقها)<sup>(١)</sup>.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة، كان له الأمن التام، والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه نفسه، كان له الأمن والاهتداء مطلقاً، بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى، وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه. وليس مراد النبي ﷺ بقوله: (إنما هو الشرك) أن من لم يشرك [الشرك]<sup>(٢)</sup> الأكبر، يكون له الأمن التام، والاهتداء التام. فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولا بد لهم من دخول الجنة.

(١) أحمد بمعناه (١٩٥/١، ١٩٦) من حديث أبي عبيدة.

(٢) هذه الكلمة استدركنها من مجموع الفتاوى (٨١/٧).

وقول النبي ﷺ: (إنما هو الشرك) إن أراد به الشرك الأكبر، فمقصوده أن من لم يكن من أهله، فهو آمن مما وُعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وهو مهتد إلى ذلك. وإن كان مراد جنس الشرك، فيقال: ظلم العبد نفسه كبخله - حب المال - ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحب ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر، ونحو ذلك. فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار<sup>(١)</sup> أهـ.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً؛ وهو الشرك به؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً؛ وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً؛ فإن الله تعالى يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ الله به؛ وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل؛ فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحي إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

(١) الإيمان لابن تيمية. تحقيق الألباني ص ٧٥ - ٧٩.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله؛ فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد؛ فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به»<sup>(١)</sup> أهـ.

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨١] الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

«قال الله تعالى فاصلاً بين الفريقين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم.

فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك، ولا بمعاصي، حصل لهم الأمان التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء»<sup>(٢)</sup> أهـ.

(١) الوابل الصيب ص: ٣٣. تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.

(٢) تيسير الكريم المنان ٢/٣٩.



ويقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «وقد أتى الوعيد الشديد في الظالمين بما يجب أن يكون كل من فقهه عن قليل الظلم وكثيره منتهياً، وإن كان الظلم ينصرف على وجوه، بعضها أعظم من بعض - وقد ذكرنا أكثرها في (التمهيد) - وأعظمها الشرك بالله عز وجل؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]، أي خاب من رحمة الله تعالى؛ من بعضها أو من كثير منها على حسب ما ارتكب من الظلم، والله يغفر لمن يشاء»<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ومن هذا النقل الأخير عن ابن عبد البر رحمه الله تعالى وبخاصة عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ يتبين لنا معنى هذه الآية الكريمة التي هي عنوان هذه الرسالة، وأن كل من حمل ظلماً فإنه معرض للخيبة والحرمان من رحمة الله عز وجل وجنته حسب نوع هذا الظلم أكبره أو أصغره. فمن كان ظلمه من جنس الظلم الأكبر والذي هو الشرك بالله عز وجل والكفر به فقد خاب الخيبة الأبدية وحرم الحرمان التام من رحمة الله عز وجل ومأواه النار وبئس مثوى الظالمين. ومن كان ظلمه دون ذلك ولم يتب منه إلى ربه عز وجل فهو معرض للخيبة وتحت المشيئة؛ إن شاء الله تعالى رحمه، وإن شاء عذبه، ثم يؤول بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى وجنته.

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ٢٠/٢٦٨، ٢٦٩.



وهذا الظالم لنفسه بما دون الشرك هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْذَنْ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]. وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فقد قسم سبحانه الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاهما «ثلاثة أصناف»: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات. وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الطبقات الثلاث المذكورة في حديث جبريل: «الإسلام والإيمان والإحسان». كما سنذكره إن شاء الله.

ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر والتائب من جميع الذنوب فذلك مقتصد أو سابق، فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب؛ لكن من تاب كان مقتصداً، أو سابقاً؛ كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة، ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا؛ فإن النبي ﷺ ذكر أن ما يصيب المؤمن في الدنيا من المصائب مما يجزئ به، ويكفر عنه خطاياها...»<sup>(١)</sup> أهـ.

(١) مجموع الفتاوى ٧/٤٨٥.

مما سبق يتبين أن الظالم لنفسه من هذه الأمة هو من ارتكب ذنوباً دون الشرك سواء ما كان منها بينه وبين الله عز وجل، أو ما كان منها من ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم، ثم لم يتب من شيء من ذلك، فإنه بتوحيده يسلم من الخلود في النار، وبمظالمه التي لم يتب منها معرض للعذاب والتطهير إلا أن يغفر الله تعالى له، أو تزول عنه عقوبة الذنب بنحو الأسباب التي ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بقوله: «على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:

أحدها: التوبة: وهذا متفق عليه بين المسلمين؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

السبب الثاني: الاستغفار لقوله ﷺ: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر الله لهم)<sup>(١)</sup>.

السبب الثالث: الحسنات الماحية كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقال ﷺ: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)<sup>(٢)</sup>.

(١) البزار (٣٢٤٧، ٣٢٤٨)، قال الهيثمي في المجمع (٢١٥/١٠):

«.. رجالهم ثقات، وفي بعضهم خلاف».

(٢) مسلم في الطهارة (٢٣٣).

**السبب الرابع:** دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه) <sup>(١)</sup>.

وهذا دعاء له بعد الموت، فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن التقى الذي اجتنب الكبائر. وكفرت عنه الصغائر وحده فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين، فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت.

**السبب الخامس:** ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها.

**السبب السادس:** شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله ﷺ في الحديث الصحيح: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) <sup>(٢)</sup>.

**السبب السابع:** المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى - حتى الشوكة يشاكها - إلا

(١) مسلم في الجائز (٩٤٨).

(٢) أحمد (٣/٢١٣)، والترمذي (٢٤٣٥) وقال حديث حسن صحيح.

كفر الله بها من خطاياها) (١).

**السبب الثامن:** ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة؛ فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

**السبب التاسع:** أهوال يوم القيامة وكرهها وشدائدھا.

**السبب العاشر:** رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد» (٢).

وفي ذكر هذه الأسباب التي قد يدفع الله تعالى بها العقوبة عن أهل الذنوب رد على قول الخوارج والمعتزلة في أن عقوبات أهل الكبائر لا تندفع إلا بالتوبة فقط.

وهذا فيما يتعلق بحق الله عز وجل، أما إذا كان الذنب فيه أيضاً حق للمخلوق فإن عقوبة الذنب لا تندفع إلا بالتحلل منه في الدنيا أو يكون القصاص يوم القيامة، والله أعلم.

وبعد هذه المقدمة عن أنواع الظلم كبيره وصغيره؛ نشرع في تفصيل هذه الأقسام وما يتفرع عنها، والصور المتنوعة لها؛ وذلك لنطمئن على سلامتنا منها، أو التخلص مما نتلبس به منها.

\* \* \*

(١) متفق عليه. وقد مرّ تخريجه قريباً.

(٢) مجموع الفتاوى: ٧/٤٨٧ - ٥٠١ (باختصار).

## القسم الأول

### ظلم النفس بالظلم الأعظم

وهو الكفر بالله تعالى والإشراك به سبحانه

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]،  
وقال الله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك). قلت: ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك). قلت: ثم أي قال: (أن تزني بحليلة جارك). فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]»<sup>(١)</sup>.

وكون الشرك بالله سبحانه أعظم الظلم، لأنه وضع للعبادة في غير ما وضعت له وصرفها عن الله عز وجل الخالق الرازق رب العالمين إلى مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

(١) البخاري في التفسير (٤٤٧٧)، ومسلم في الإيمان (٨٦).

ولما كان الكفر والشرك بالله عز وجل أعظم ذنب عصي الله به لذا فإنه هو الذنب الذي لا يغفره الله عز وجل إلا بتوبة، وصاحبه مخلد في النار؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله تعالى - في شرحه لكتاب التوحيد: باب الخوف من الشرك: «لما كان الشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه؛ من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه، نبه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه...» إلى أن قال رحمه الله تعالى: «وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله، وإنما كان كذلك، لأنه أقبح القبح وأظلم الظلم، إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك. فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة، كما قال ﷺ:

( لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله )<sup>(١)</sup> .

ولأن الشرك تشبيهه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده . فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً - فضلاً عن غيره - شبيهاً بمن له الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله . فأزمة الأمور كلها بيديه سبحانه، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولما معطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة، فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم . فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات .

ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم، والإجلال، والخشية، والدعاء، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والتوبة، والاستعانة، وغاية الحب مع غاية الذل، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره، فمن فعل شيئاً من ذلك لغيره، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولاند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله،

(١) مسلم / ك الإيمان / باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (١٤٨) .



فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة، هذا معنى كلام ابن القيم<sup>(١)</sup> أهـ.

وبعد هذا الكلام النفيس الذي يتبين منه خطورة هذا النوع من الظلم وضرورة التحرز منه والحذر الشديد من الوقوع فيه. تأتي الآن للتعرف على بعض صور هذا الظلم العظيم وأنواعه.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: «إذا تبين هذا فاعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه.

### القسم الأول: الشرك في الربوبية، وهو نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون. إذ قال: وما رب العالمين؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدوم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٧٨، ٧٩.

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود، كابن عربي، وابن سبعين، والعميق التلمساني، وابن الفارض، ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر.

ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب وأوصافه، من غلاة الجهمية، والقرامطة.

النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة.

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.

**قلت**<sup>(١)</sup>: ويلتحق به من وجه شرك غلاة عباد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم، ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضهم في هذا النوع.

(١) القائل هو الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى لأنه ينقل عن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى والله أعلم.

**القسم الثاني:** الشرك في توحيد الأسماء والصفات، وهو أسهل مما قبله، وهو نوعان:

أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق؛ كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن عباس: يلحدون في أسمائه: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز.

**القسم الثالث:** الشرك في توحيد الإلهية والعبادة. قال القرطبي: أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الإلهية، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتب اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجوداً ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهاً، هذا كلام القرطبي. وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله نداً يدعو كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله. وبالجملة فهو أن يجعل لله نداً يعبده كما يعبد الله،

وهذا هو الشرك الأكبر، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [السجدة: ٤].

والآيات في النهي عن هذا الشرك وبيان بطلانه كثيرة جداً.

الثاني: الشرك الأصغر، كيسيير الرياء والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة؛ فله من عمله نصيب، ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ، كالحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، ومالي إلا الله وأنت، وأنا في حسب الله وحسبك، ونحوه. وقد يكون ذلك شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده هذا حاصل كلام ابن القيم وغيره<sup>(١)</sup> أهـ.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٩، ص ٣٠ وما أشار إليه الشيخ - رحمه الله -

من أمثلة الشرك الأصغر لا تدخل بالطبع تحت الظلم الأعظم، وإنما ذكرت

من باب بيان أقسام الشرك في الألوهية.

ثم فصل بعض أنواع الشرك في الإلهية والعبادة فقال رحمه الله تعالى: «... فمنها: المحبة؛ فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلا لله، فهو مشرك.

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُم مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

ومنها: التوكل؛ فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠]، والتوكل على غير الله فيما يقدر عليه شرك أصغر.

ومنها: الخوف؛ فلا يخاف خوف السر إلا من الله. ومعنى خوف السر: هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقاد للنفع والضرر في غير الله. قال الله تعالى: ﴿فَأَيُّيَ فَرَاهِبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

ومنها: الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجياً حصول مطلوبه من جهتهم؛ فهذا شرك أكبر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وقال علي رضي الله عنه: لا يرجون عبداً إلا ربّه.

ومنها: الصلاة والركوع والسجود؛ قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

ومنها الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله، سواء كان طلباً للشفاعة أو غيرها من المطالب.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣] إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبيرٍ [١٤] ﴿[فاطر: ١٣، ١٤]، وقا تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [٦٠] ﴿[غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٠٦] ﴿[يونس: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤٣] ﴿[الزمر: ٤٣، ٤٤].

ومنها: الذبح؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ



وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ  
الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، والنسك: الذبح.

ومنها: النذر؛ قال الله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]،  
وقال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾  
[الإنسان: ٧].

ومنها: الطواف؛ فلا يطاف إلا ببیت الله. قال الله تعالى:  
﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٢٩﴾ [الحج: ٢٩].

ومنها: التوبة؛ فلا يتاب إلا لله. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ  
إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ  
أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿١﴾.

ومنها: الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ  
تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى  
من هذه العبادات أو غيرها، فهو مشرك. وإنما ذكرنا هذه العبادات  
خاصة لأن عبادة القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى، أو أشركوا  
بين الله تعالى وبينهم فيها، وإلا فكل نوع من أنواع العبادة، من صرفه



لغير الله، أو شرك بين الله تعالى وبين غيره فيه، فهو مشرك. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين، وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه، وإنما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها، وكانوا يقولون في تلبيتهم:

لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك

تملكه وما ملك

فأتاهم النبي ﷺ بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله، الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهم فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وكانوا يجعلون من الحرث والأنعام نصيباً لله وللآلهة مثل ذلك، فإذا صار شيء من الذي لله إلى الذي للآلهة تركوه لها، وقالوا: الله غني، وإذا صار شيء من الذي للآلهة إلى الذي لله تعالى ردوه، وقالوا: الله غني، والآلهة فقيرة.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصُلُ إِلَى اللَّهِ

وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

[الأنعام: ١٣٦].

وهذا بعينه يفعلهُ عبَاد القبور، بل يزيدون على ذلك فيجعلون للأموات نصيباً من الأولاد»<sup>(١)</sup> أهـ.

وهذه الأنواع المذكورة من الشرك إن هي إلا أمثلة لما كان منتشرًا في عهدهِ رحمه الله، ولا زالت إلى يومنا هذا عند عبَاد القبور، وليست هي كل أنواع الشرك في الألوهية، فلقد انطوى كتاب التوحيد على ذكر أنواع أخرى من الشرك الأكبر غير هذه وحذر منها، يحسن هنا ذكر أشهرها وخاصة ما يكثر في زماننا اليوم.

● ومن ذلك ما ترجم له الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: «باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد أخذهم أرباباً من دون الله»، وقوله: «باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]»<sup>(٢)</sup>.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٦، ٢٨.

(٢) وتحت هذه الأبواب في شروح «كتاب التوحيد» تفصيل شامل لهذا النوع من الشرك فيحسن الرجوع إليه. والمقصود التنبيه على أن من الشرك الأكبر والظلم الأعظم طاعة غير الله تعالى في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.

وهذا هو شرك الطاعة والاتباع والذي كثر في هذا الزمان حيث رفض فيه شرع الله عز وجل ونحي جانباً، وحلت مكانه قوانين البشر ونحانات أفكارهم وأنظمتهم الجائرة الكافرة الموصوفة بالجهل والظلم والهوى والنقص. وانطبق على هؤلاء المشرعين من دون الله عز وجل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

كما انطبق على الراضين بهذه الأنظمة المطيعين لها المنقادين لها بعد علمهم بأنها محادة لشرع الله سبحانه قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

ويعلق شيخ الإسلام رحمه الله تعالى على هذه الآية بقوله: «وفي حديث عدي بن حاتم - وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما - وكان قد قدم على النبي ﷺ، وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية، قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم؛ قال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه؟! ) قال: فقلت: بلى. قال: (فتلك عبادتهم)»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الترمذي بنحوه مختصراً في التفسير (٣٠٩٤)، وأخرجه بطوله ابن جرير في التفسير برقم (١٦٦٣٢) ١٤/٢١٠ تحقيق محمود وأحمد شاكر. ولم يخرج أحمد في المسند.

وكذلك قال أبو البخترى: أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمرهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمرهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله؛ فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية.

وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمرنا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحو الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

فقد بين النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم، وصاموا لهم، ودعوهم من دون الله. فهذه عبادة للرجال، وتلك عبادة للأموال، وقد بينها النبي ﷺ، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فهذا من الظلم الذي يدخل في قوله: ﴿احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من دون الله ﴿[الصفات: ٢٢، ٢٣]، فإن هؤلاء والذين أمرهم بهذا جميعاً معذبون﴾ (١).

إذن فإن من الشرك الأكبر والظلم الأعظم رفض شرع الله تعالى وطاعة المشرعين من دون الله عز وجل أو اتباعهم فيما أحلوا وحرموا مما

لم يأذن به الله تعالى .

وقد وقفت على كلام بديع للإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره أضواء البيان يكفي ويشفي لتجلية هذا النوع من الشرك الخطير والظلم العظيم ويدحض أهله .

وأستسمح القارئ في نقل أكثره لعظيم فائدته . قال رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠] ما نصه: « ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة .

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿ وَلَا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ بصيغة النهي .

وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله .

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل والعمل به بدل تشريع الله – عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه – كفر بواح لا نزاع فيه .

وقد دل القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠] والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدمنا إيضاحها في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]،.

وأما الآيات الدالة على أن اتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً، كما تقدم إيضاحه في الكهف.



**مسألة:** [الكلام ما يزال للشيخ الشنقيطي - رحمه الله -]

اعلم أن الله جل وعلا بين في آيات كثيرة، صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة، التي سنوضحها الآن إن شاء الله، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر: هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع؟

سبحان الله وتعالى عن ذلك .

فإن كانت تنطبق عليهم - ولن تكون - فليتبع تشريعهم، وإن ظهر يقيناً أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند حدّهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية؛ سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه .

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿١٠﴾ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الشورى: ١٠ - ١٢] .



فهل في الكفرة الفجرة المرعنين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومخترعهما على غير مثال سابق وأنه الذي خلق للبشر أزواجاً، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية... وأنه له مقاليد السموات والأرض وأنه هو الذي ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يضيق على من يشاء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم ولا تقبلوا تشريعاً من كافر خسيس حقير جاهل...

.. ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

فقوله: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ صيغة تعجيز؛ فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم. وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية. كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا، وأشركه مع الله.

والآيات الدالة على هذا كثيرة، وقد قدمناها مراراً وسنعيد منها ما فيه كفاية، فمن ذلك - وهو من أوضحه وأصرحه - أنه في زمن النبي ﷺ وقعت مناظرة بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، في

حكم من أحكام التحريم والتحليل، وحزب الرحمن يتبعون تشريع الرحمن، في وحيه في تحريمه، وحزب الشيطان يتبعون وحي الشيطان في تحليله.

وقد حكم الله بينهما وأفتى فيما تنازعوا فيه فتوى سماوية قرآنية تتلى في سورة الأنعام.

وذلك أن الشيطان لما أوحى إلى أوليائه فقال لهم في وحيه: سلوا محمداً عن الشاة تصبح ميتة من هو الذي قتلها؟ فأجابوهم أن الله هو الذي قتلها.

فقالوا: الميتة إذا ذبيحة الله، وما ذبحه الله كيف تقولون إنه حرام؟ مع أنكم تقولون إنما ذبحتموه بأيديكم حلال، فأنتم إذا أحسن من الله وأحل ذبيحة.

فأنزل الله - بإجماع من يعتد به من أهل العلم - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، يعني الميتة أي: وإن زعم الكفار أن الله ذكأها بيده الكريمة بسكين من ذهب: ﴿وَأِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، والضمير عائد إلى الأكل المفهوم من قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾، وقوله: ﴿لَفِسْقٌ﴾ أي خروج عن طاعة الله، واتباع لتشريع الشيطان: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾

[الأنعام: ١٢١].

أي بقولهم: ما ذبحتموه حلال وما ذبحه الله حرام؛ فأنتم إذا أحسن من الله، وأحل تذكية، ثم بين الفتوى السماوية من رب العالمين، في الحكم بين الفريقين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فهي فتوى سماوية من الخالق جل وعلا صرح فيها بأن متبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن مشرك بالله.... ومن الآيات الدالة على نحو ما دلت عليه آية الأنعام المذكورة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠]، فصرح بتوليهم للشيطان أي باتباع ما يزين لهم من الكفر والمعاصي مخالفاً لما جاءت به الرسل، ثم صرح بأن ذلك إشراك به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ وصرح أن الطاعة في ذلك الذي يشرعه الشيطان لهم ويزينه عبادة للشيطان.

ومعلوم أن من عبد الشيطان فقد أشرك بالرحمن قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴿يس: ٦٠ - ٦٢﴾، ويدخل فيهم متبعو نظام الشيطان دخولاً أولاً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢].

ثم بين المصير الأخير لمن كان يعبد الشيطان في دار الدنيا، في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٦٣] اصلوها اليوم بما كنتم

تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٣ - ٦٥]، وقال تعالى: عن نبيه إبراهيم: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مریم: ٤٤]، فقلوه: لا تعبد الشيطان: أي باتباع ما يشرعه من الكفر والمعاصي، مخالفاً لما شرعه الله.

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧]، فقلوه: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا﴾ يعني ما يعبدون إلا شيطاناً مریداً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءُ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

فقلوه تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي يتبعون الشياطين ويطيعونهم فيما يشرعون ويزينون لهم، من الكفر والمعاصي على أصح التفسيرين.

والشيطان عالم بأن طاعتهم له المذكورة إشراك به كما صرح بذلك وتبرأ منهم في الآخرة، كما نص الله عليه في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنَ

قَبْلُ ﴿ [إبراهيم: ٢٢] ، فقد اعترف بأنهم كانوا مشركين به من قبل أي في دار الدنيا، ولم يكفر بشركهم ذلك إلا يوم القيامة.

وقد أوضح النبي ﷺ هذا المعنى الذي بينا في الحديث لَمَّا سَأَلَهُ عَدِي بْنُ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة: ٣١] كيف اتخذوهم أرباباً؟ وأجابه ﷺ أنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل الله فاتبعوهم، وبذلك الاتباع اتخذوهم أرباباً<sup>(١)</sup>.

ومن أصرح الأدلة في هذا أن الكفار إذا أحلوا شيئاً، يعلمون أن الله حرمه وحرموا شيئاً يعلمون أن الله أحله، فإنهم يزدادون كفراً جديداً بذلك، مع كفرهم الأول، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾

[التوبة: ٣٧].

وعلى كل حال فلا شك أن كل من أطاع غير الله في تشريع مخالف لما شرعه الله فقد أشرك به مع الله كما يدل لذلك قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، فسماهم شركاء لما أطاعوهم في قتل الأولاد...»<sup>(٢)</sup> أهـ.

(١) سبق تخريج الحديث الدال على ذلك ص: ٥٩.

(٢) أضواء البيان ٧/١٦٢ - ١٧٣ (باختصار).

من خلال هذا الكلام النفيس وما قبله يتبين لنا عظم ظلم الطغاة الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله تعالى، ويحكمون في دماء الناس وأعراضهم وأموالهم بأهواء البشر المليئة بالظلم والجهل والطغيان، فما أشد ظلم الطغاة، وما أشد شؤمهم على أنفسهم وأمتهم فلقد جمعوا كل أنواع الظلم - نعوذ بالله من الخذلان - حيث ظلموا أنفسهم بتبديلهم شرع الله عز وجل وهذا من الظلم الأعظم، وظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى وارتكابهم ما حرم الله عز وجل مما تفرزه تشريعاتهم الباطلة، وظلموا عباد الله سبحانه بما ألزموهم به من الأحكام الظالمة التي تلحق الضرر بدينهم وأنفسهم، وأموالهم وأعراضهم، وبما أحدثوه من السياسات الجائرة التي تمكن للمفسدين ليفسدوا في الأرض، وفي الوقت نفسه تبعد أهل الخير والصلاح عن مواطن التوجيه إن لم تزج بهم في غياهب السجون!!

● ومن الصور الخطيرة للظلم الأعظم والشرك الأكبر تولي أعداء الله عز وجل من الكفرة والمشركين وعدم البراءة منهم ومن شركهم. حيث لا يصح للعبد توحيد حته حتى يحقق مدلول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بأن يعبد الله وحده ويتبرأ من كل ما يعبد من دون الله. وهذه هي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه الصلاة والسلام باقية في عقبه. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ



مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وهي العقيدة التي أمرنا الله عز وجل أن نقتدي بخليفه ﷺ فيها حيث يقول الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾

[المتحنة: ٤].

وقال الرسول ﷺ: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) (١).

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هذا الحديث في باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ثم قال في مسائل الباب:

«وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها من لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله. فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها،

(١) مسلم في الإيمان (٢٣).



وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد هذه المعنى العظيم قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا يصح إيمان العبد وإسلامه وصدق تمسكه بكلمة التوحيد حتى يضم إلى إيمانه بالله عز وجل كفره بالطاغوت الذي يعني الكفر بكل ما يعبد من دون الله عز وجل من متبوع أو معبود أو مطاع.

وليس المقام هنا مقام تفصيل لهذا الركن العظيم من أركان التوحيد، وإنما المقصود الإشارة والتنبيه إلى خطورة إهماله، وأن ذلك يوقع صاحبه في الظلم الأعظم الذي لا يغفره الله عز وجل إلا بتوبة صادقة.

وخلاصة ما سبق: أن صور الشرك الأكبر والظلم الأعظم في توحيد الألوهية كثيرة لكنها لا تخرج في جملتها - والله أعلم - عن الأنواع الثلاثة التالية:

١- الشرك بالله عز وجل في النسك والعبادة. وذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]،

(١) فتح المجيد: ص ١١٥.

مثل الذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة وغيرها .

٢- الشرك بالله عز وجل في الطاعة والحكم: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] وكقوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ [يوسف: ٤٠] .

٣- الشرك بالله عز وجل في الولاية وعدم البراءة من المشركين: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] .

● وأخيراً، من المهم في مقام تعدد أنواع الكفر الأكبر وصور الظلم الأعظم ذكر بعض نواقض الإيمان التي يخرج العبد بارتكابه لها عن دائرة الإيمان والإسلام، ويصبح مرتدًا ظالمًا لنفسه ظلمًا عظيمًا والعياذ بالله عز وجل .

ولما كان المقام أيضاً ليس مقام تفصيل فسأكتفي بإيرادها مختصرة للإشارة إلى خطورتها ومن أراد التوسع فيها فليرجع إلى ما كتبه الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وإلى كتاب

نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابطها عند أهل السنة للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي حفظه الله، وكتاب نواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف حفظه الله. وقد رجعت إلى هذين الكتابين ولخصت هذه النواقض<sup>(١)</sup> بشيء من التصرف في النقاط التالية:

### (١) النواقض الاعتقادية:

وهي التي تنقض قول القلب كالإقرار والتصديق أو عمل القلب كالقبول والإذعان والمحبة والإخلاص وغيرها. ومن هذه النواقض:

أ- الجحود والتكذيب

ب- استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة.

ج- الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو خبر من أخباره.

د- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ، ويسعه الخروج عن شرع الله.

هـ- اعتقاد ربوبية غير الله عز وجل.

(١) إن تعداد هذه النواقض وذكرها هنا على وجه الإجمال لا يعني بالضرورة كفر وارتداد كل من تلبس بها؛ لأن الحكم بكفر المعين وردته مضبوط بضوابط التكفير من توفر الشروط وانتفاء الموانع ولا بد من التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين.

- و- اعتقاد ألوهية غير الله عز وجل .
- ز- الإعراض عن دين الله عز وجل لا يتعلمه ولا يعمل به ( وقد تكون من النواقض العملية ) .
- ح- النفاق والاعتقادي .
- ط- بغض أو كراهية بعض ما جاء به النبي ﷺ ، أو محبة دين المشركين .
- ي- الإباء والاستكبار والامتناع عن الالتزام بشريعة من شرائع الإسلام المتواترة .
- ك- الشرك الأكبر بعمل القلب كالمحبة والإرادة والقصد .
- ل- التكذيب بأصل من أصول الإيمان الستة ، وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

### ( ٢ ) النواقض القولية :

- وهي التي يكفر بها العبد بنطقها باللسان . وهي أنواع منها :
- أ- القول بقدم العالم .
- ب- سب الله عز وجل أو الاستهزاء به أو بدين الإسلام .
- ح- دعاء غير الله تعالى والاستغاثة به أو الاستعانة به فيما لا يقدر

عليه إلا الله عز وجل .

د- سب النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء .

هـ- ادعاء النبوة .

و- إنكار القرآن أو الكتب المنزلة أو الاستهزاء بها .

ز- إنكار الملائكة أو سبهم والاستهزاء بهم .

ح- إنكار البعث أو الشك فيه أو الاستهزاء بالمؤمنين به .

ط- إنكار اليوم الآخر أو ما أخبر الله عز وجل بما فيه من الوعد

والوعيد .

ي- إنكار حكم معلوم من الدين بالضرورة .

ك- تمجيد أحكام الكفرة المضادة لأحكام الله عز وجل وتفضيلها

أو تسويتها بأحكام الإسلام .

( ٣ ) النواقض العملية :

وهي الأعمال التي إذا قام بها العبد وقع في الكفر الأكبر والظلم

الأعظم، وهي أنواع منها :

أ- الشرك في العبادة كالسجود لغير الله عز وجل أو الذبح أو النذر

لغيره سبحانه .

ب- تبديل شرع الله عز وجل وسن الأنظمة المضادة لحكم الله عز وجل أو تجويز الحكم بغير ما أنزل الله وإلزام الناس بذلك .

ح- مظاهر الكفار والمشركين وتوليهم بالمحبة والنصرة لهم على المسلمين .

د- تعمد الاستهانة بالمصحف وإلقائه في الأماكن غير المحترمة على وجه الاستخفاف والإهانة .

هـ- الإعراض التام عن دين الله عز وجل لا يتعلمه ولا يعمل به .

و- السحر والكهانة والتنجيم وكل ما من شأنه الاستعانة بالجن وعبادتهم من دون الله عز وجل أو اعتقاد علمهم بالغيب .

وما سبق ذكره من النواقض لم يكن على سبيل الحصر ولا على سبيل الشمول والإحاطة بكل النواقض، فقد يكون هناك غيرها، ولكنها لا تخرج في جملتها عن أن تكون نواقض اعتقادية أو قولية أو عملية، والمقصود الحذر الشديد من الوقوع في شيء منها؛ لأنها تؤدي بالعبد إلى أن يوقع نفسه في الظلم الأعظم الذي لا يغفره الله عز وجل. ولو مات عليه بلا توبة فحرام عليه الجنة، ومأواه النار خالداً فيها. وكفى بذلك إثماً مبيئاً، وظلماً عظيماً.

## القسم الثاني

### ظلم النفس بوقوعها في مظالم العباد

وهذا النوع من الظلم أخف من سابقه في كونه لا يخلد صاحبه في النار لو دخلها، ولكن الخطير فيه أن إثمه وعقوبته لا تزول إلا برد المظالم إلى أهلها، أو استباحتهم منها؛ وإلا كان القصاص يوم القيامة، بالحسنات والسيئات وليس بالدينار والدرهم؛ وكفي بهذا حاجزاً عن الظلم، وكفى به رادعاً وواعظاً للعبد المسلم في أن يتخفف من حقوق العباد ويخرج من هذه الدنيا سالماً لا يطلبه أحد من العباد بمظلمة في دين أو نفس<sup>(١)</sup> أو مال أو عرض. هذه الأمور التي لا تكاد تخرج مظالم العباد عنها؛ قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: ( ... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)<sup>(٢)</sup> وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: ( من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر

(١) والعقل داخل في النفس، والاعتداء على الناس في هذه المقاصد الخمسة التي جاءت الشريعة للحفاظ عليها - يعد ظمناً وعدواناً.

(٢) مرّ تخريجه من حديث أبي بكر ص ٢٤ .



مظلّمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه<sup>(١)</sup>.

ويخلص لنا من هذا أن الذي يظلم الناس إنما هو في حقيقة الأمر ظالم لنفسه.

وظلم الناس إنما ينشأ من الإضرار بهم في دينهم أو دنياهم، ويكون ذلك بأمرين:

(١) إما بمنعهم حقوقهم (٢) أو بفعل ما يضر بهم.

وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بقوله: « وإضرار العبد في دينه ودنياه هو ظلم الناس؛ فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة لكف ظلم الناس بعضهم عن بعض، ثم هو نوعان:

أحدهما: منع ما يجب لهم من الحقوق، وهو التفريط.

الثاني: فعل ما يضر به وهو العدوان<sup>(٢)</sup>.

ويقول في موطن آخر: ( والظلم نوعان: تفريط في الحق، وتعد للحد. فالأول: ترك ما يجب للغير مثل ترك قضاء الديون، وسائر الأمانات، وغيرها من الأموال. والثاني: الاعتداء عليه، مثل القتل، وأخذ المال، وكلاهما ظلم... )<sup>(٣)</sup>.

(١) مرّ تخريجه من حديث أبي هريرة ص ٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨ / ١٨٣.

وتحصل لدينا من هذه القاعدة النافعة أن أي إضرار يقع على الناس في أديانهم، أو أنفسهم، أو أموالهم، أو أعراضهم - سواءً بمنع ما يجب لهم من الحقوق في ذلك أو العدوان عليهم في هذه المقاصد - إنما هو ظلم لهم، ولا تخرج مظالم العباد عن هذا.

وفي ضوء ما تقدم من أنواع الظلم الواقع على العباد يمكننا الآن التعرف على بعض صور الظلم المختلفة وبخاصة في زماننا اليوم، وأسوقها هنا نصحاً لنفسي ولإخواني المسلمين؛ فكم يتلبس الواحد منا ببعض هذه الصور وهو يشعر أو لا يشعر - نسأل الله العافية والسلامة - ومن هذه الصور ما يلي:

### الصورة الأولى: «ظلم الأولاد لوالديهم»

لقد جعل الله عز وجل حق الوالدين بعد توحيدِه سبحانه وعبادته، كما جعل سبحانه عقوقهما من الكبائر التي تلي الإشراك بالله تعالى؛ قال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ولعظيم حقهما أوجب الإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف ولو كانا مشركين؛ قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وقد جعل الرسول ﷺ كبيرة عقوق الوالدين بعد كبيرة الشرك بالله عز وجل فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - قالوا:

بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور... الحديث (١).

وإن أي تفريط في هذا الحق العظيم للوالدين يعد ظلماً لهما، كما أن فعل ما يضر بهما مهما قل يعد أيضاً من الظلم لهما كما قعد لذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

وأسوق فيما يلي بعض الصور التي تعد من ظلم الأولاد لوالديهم:

(أ) منعهم حقوقهم التي أوجبها الله تعالى لهم أو التقصير فيها ومن أمثلة ذلك:

○ منعهم النفقة التي تجب لهم أو التقصير فيها من قبل الأولاد، وذلك في حال فقر الوالدين أو عجزهم وغنى الأولاد.

○ ترك طاعتهم وعدم تلبية أوامرهم وتقديم طاعة غيرهم من البشر عليهم كالزوجة والأصدقاء.

○ إهمال خدمتهم والابتعاد عنهم وبخاصة في حال كبرهم وافتقارهم إلى الرعاية الجسدية والنفسية.

○ ترك تعليمهم من دين الله عز وجل ما لا يسع أحداً جهله كتوحيد الله عز وجل وما يضاؤه من الشرك، وتعليمهم أحكام الله عز وجل العينية، والمعلوم من الدين بالضرورة وجوبها أو تحريمها. إن ترك

(١) البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم. في الإيمان (٨٧).

الوالدين على جهلهم بهذه الأمور الواجب تعلمها يعد ظلماً لهم وتفريطاً في حقوقهما الدينية. ويدخل في ذلك تركهما على بعض المنكرات والمخالفات من غير نصح وتوجيه بلطف ورفق وأدب.

○ عدم التوقير لهما وسوء الأدب معهما، والتعالي عليهما، وعدم الشفقة والرحمة بهما؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. ومن ذلك العبوس وتقطيب الجبين أمامهما.

○ إنكار جميلهما ورعايتهما ونكران فضلهما وعدم الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما وبعد وفاتهما.

○ عدم إنفاذ وصيتهما بعد موتهما أو تغييرها وتعديلها بدون مسوغ شرعي.

○ ترك وفاء دينهما في حال عجزهما في حياتهما أو بعد مماتهما مع القدرة على ذلك.

○ عدم وفاء نذرهما بعد وفاتهما أو النيابة عنهما في أداء ما وجب عليهما في حياتهما ومماتهما ولم يقوما بأدائه.

○ إظهار الكره والتبرم والتأفف لما يظهر على الوالدين في الكبر من تغيرات نفسية أو جسدية أو مرضية. ولذا شدد الله عز وجل على خفض الجناح والذل لهما عند الكبر لأنه مظنة تغيير أخلاق الوالدين

وضعف تحملهما؛ فقال تعالى: ﴿إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ب- التعدي عليهما وإيصال الضرر لهما: ومن أمثلة ذلك:

○ التسبب في إيصال ما يحزنهما ويغمهما مع إمكان دفع ذلك عنهما.

○ التصرف في ممتلكات الوالدين بغير إذنهما أو السرقة من أموالهما أو التحايل عليها.

○ التفريط فيما يعهدان به من الأموال العينية أو النقدية إلى الأولاد لتنميتها وعدم الإخلاص والنصح في رعاية أموالهما واستثمارها حتى تنتهي إلى الضياع بسبب الإهمال والتفريط من الولد في أموال والديه.

○ السعي بالنميمة بين الوالدين أو بين أحدهما وغيرهما من الناس سواء الأقارب أو الأبعد، فإذا كانت النميمة محرمة بين الناس عامة فإيقاعها مع الوالدين أكبر وأشد.

○ السخرية منهما سواء كان ذلك بحضرتهما أو في غيابتهما حيث نهى الله عز وجل المؤمنين عن ذلك فكيف إذا كان ذلك مع الوالدين؟ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا

مَنْهَنَ ﴿ [الحجرات: ١١]، ويدخل في ذلك احتقار رأيهما أو الإشاحة عنهما إذا تحدثا.

○ الحديث في غيبتهما بما يكرهانه . وهذا هو معنى الغيبة التي حرّمها الله عز وجل بين المؤمنين فهي مع الوالدين أشد حرمة .

○ الوقوع في سبهما أو لعنهما سواء كان ذلك بطريق مباشر - عياداً بالله تعالى - أو كان بسب الآخرين وآبائهم مما يؤدي إلى سب الوالدين أو لعنهم .

○ الغش لهما والكذب عليهما مما يكون له أكبر الأثر في إيصال الأذى والضرر لهما .

○ الاهتمام بالأولاد والزوجة وأقارب الزوجة أكثر من الاهتمام بهما مما ينشأ عنه إحزانهما وتألمهما بذلك .

○ معاونتهما على ظلم الناس وعدم كفهما عن ذلك، وفي ذلك إيضار بالنفس بمشاركتهما في الظلم، وإضرار بالوالدين باقرارهما على الظلم، وما يترتب عليه من آثام وضرر لهما في الدنيا والآخرة، كظلمهما للزوجة أو بعض أقاربهما أو غيرهما من الناس .

○ ويقابل الصورة السابقة: ترك نصرتهما ممن ظلمهما وخذلانهما وإسلامهما لمن يذلهما أو يلحق الضرر بهما . فإذا كان هذا حق للمسلم على أخيه المسلم فلأن يكون في حق الوالد أشد؛ قال ﷺ

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ...  
الحديث) (١).

○ تكليفهما بما فيه إهانة لهما كتنظيف المنزل وغسل الثياب وقضاء حاجات المنزل خاصة إذا كان الوالدان عاجزين . أما إذا قاما بذلك عن طواعية ورغبة منهما وهما نشيطان فلا بأس بذلك - إن شاء الله تعالى - مع مراعاة شكرهما والدعاء لهما مع أن الأولى أن لا يكون منهما شيء من الخدمة قدر الإمكان، وإنما الخدمة تكون لهما .

○ الدخول عليهما في خلوتهما بدون استئذان منهما .

○ معاتبتهما إذا أخطأ أمام الأولاد والزوجة أو غيرهم .

○ إدخال المنكرات في بيتهما كآلات اللهو والتلفاز والمجلات المحرمة مما يتسبب في فساد أفراد الأسرة . وهذا بلا شك يؤدي الوالدين ويحزنهما . ويدخل في ذلك مزاولة المنكرات أمام الوالدين وهما يتأذيان بذلك كشرب الدخان، والنوم عن الصلاة المكتوبة، وإدخال رفقة السوء للمنزل .

○ فعل ما ينشأ عنه إحراج الوالدين وتشويه سمعتهما وذلك باقتراف الأفعال الدنيئة من الأولاد والتي قد تخرم المروءة، وتلحق العار بالوالدين أو الأسرة جميعاً . فهذا فوق أنه ظلم للنفس من فاعلها فهو

( ١ ) البخاري بنحوه في المظالم ( ٢٤٤٢ ) ، ومسلم في البر والصلة ( ٢٥٨٠ ) .



ظلم للوالدين بما يسببه من عناء وحرص وهمٍّ وغمٍّ لهما. وكذلك قد يقع الحرج عليهما - وبخاصة الأب - في سداد ديون الأبناء الناشئة من تصرفاتهم المشينة التي يترتب عليها استدانتهم من الغير وعجزهم عنها، وبالتالي يضطر الأب إلى سدادها ليدفع عن ابنه عقوبة السجن أو غيره. وكفى بذلك إيذاء وحرماً.

○ ايذاؤهما بالمنة عليهما وتعداد الأيادي عليهما، وتكرار ذلك بمناسبة أو غير مناسبة، مع أن المنة لهما بعد الله عز وجل. قال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

○ الاستجابة لضغط الزوجة الظالمة بالبعد عن الوالدين وخدمتهم دون مسوغ شرعي، وقد يكون الوالدان في حال من الكبر والمرض بحيث لا يستغنيان عن ولدهما.

وبالجمله فإن أي ظلم يقع بين العباد فوقه على الوالدين من أولادهم أشد وأشنع.

### الصورة الثانية: «ظلم الوالدين لأولادهم»

وهذه الصورة من صور الظلم تقابل الصورة السابقة، فكما أن الظلم يمكن وقوعه من الولد لوالده فكذلك الحال في ظلم الوالد لولده، فمهما تعاضم حق الوالد على الولد فلا يعني هذا فتح الباب للوالد ليفعل مع ولده ما يشاء؛ لأن للولد حقوقاً على أبيه وحدوداً إذا

تجاوزها الوالد مع ولده فإن ذلك يعد ظلماً له . وبالتالي يدخل تحت طائلة الإثم والعقوبة للظالمين في الدنيا والآخرة .

وقد ذكر الله عز وجل لنا مشهداً عظيماً مروءاً من مشاهد يوم القيامة، وهو كفيل بإيقاظ القلوب الحية، ورا دعاً لها عن تحمل حقوق الناس ومظالمهم ولو كانوا أقرب قريب . قال الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

[عبس: ٣٣ - ٣٧].

ولماذا يفر المرء من أقرب الناس إليه؟ إن فراره ذلك إنما هو لخشيته من مطالبتهم له بحسنة من حسناته أو حق من حقوقهم عليه . وما أكثر الحقوق التي تكون بين الأقارب، وما أكثر المظالم التي تقع بينهم بحكم العشرة الطويلة والإقامة المستمرة معهم في الدنيا بخلاف غيرهم ممن لا يلتقي بهم إلا في المناسبات المتباعدة .

ومعلوم أن المظالم والحقوق تكثر في الغالب بين من يعيشون في مكان واحد ولفترة زمنية طويلة، كالوالد مع ولده، وكالزوج مع زوجته وكالأخ مع أخيه، وهم المذكورون في الآية الكريمة .

فالواجب الحذر الشديد من المظالم عامة، ومظالم الأقارب بخاصة؛ لكثرتها وشدة إثمها، ويوم القيامة لا ينفع الفرار ولا التنصل فلا ملجأ

من الله إلا إليه كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ أَيَّنَ الْمَفْرُودِ ﴿١٠﴾﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمُسْتَقِرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٠ - ١٢] وهذه المقدمة لا تخص هذه الصورة من صور الظلم وإنما هي للصورة السابقة أيضاً والصورة اللاحقة التي يرد فيها ظلم الزوج لزوجته والعكس.

وأسوق فيما يلي بعض الصور التي تعد من ظلم الوالدين لأولادهم:

ومن ذلك:

○ ترك النفقة الواجبة لهم أو التقصير فيها؛ فالنفقة والكسوة والسكن وغير ذلك من الضروريات تعد من الحقوق التي تجب للأولاد على الوالد في حالة عجز الولد وقدرة الوالد، والتقصير في ذلك يعد ظلماً لهم.

وكل ذلك يكون حسب القدرة والسعة كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فليُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧]، وهذه الحقوق التي للأولاد تبدأ منذ ولادتهم كحقوق الرضاعة والحضانة وغيرها.

○ عدم العدل بين الأولاد في الأعطيات والهبات والمعاملة. هذا من الوالد جور وظلم كما جاء ذلك في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما حيث يقول: «أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت ربيعة: لا

أرض حتى تشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله . قال : ( أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ ) قال : لا . قال : ( اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ) . قال فرجع فرد عطيته»<sup>(١)</sup> .

وفوق ما فيه من الظلم والجور ففيه أيضاً باب إلى الأحقاد والضغائن والقطيعة بين الأولاد بعضهم مع بعض وبينهم وبين والدهم . والنهي الوارد هنا يتعلق بالأعطيات العامة التي يملك فيها بعض الأولاد دون بعضهم . أما لو أعطي أحد الأولاد نفقة زائدة على غيره لحاجته وفقره واستغناء إخوانه عن ذلك فلا بأس بهذا كما قرره الفقهاء في هذا الباب .

○ عدم تعليمهم دين الله عز وجل وبخاصة ما يتعلق بالفقه الواجب الذي يجب على كل مسلم معرفته كالشهادتين ومعناها، والصلاة وشروطها وواجباتها وغير ذلك من فروض الأعيان، وإن ترك الأولاد على جهلهم دون تعليم ورعاية وتنشئة صالحة يعد ذلك ظلماً لهم ومنعاً لهم من حقوقهم التي أوجبها الله عز وجل على الوالدين .

(١) البخاري (٢٥٨٧) [فتح ٥ / ٢١١] .

ويندرج تحت ذلك تعليمهم الآداب الإسلامية كآداب الاستئذان والطعام، وتدريبهم على العبادة حتى تسهل عليهم إذا بلغوا سن التكليف، ويخص البنات بآداب الحشمة والحجاب والحياء.

○ ما يقوم به بعض الآباء من ظلمهم لبناتهم بتأخير زواجهن طمعاً فيما عند البنت من مال تكسبه من عملها كما هو الحال في زماننا اليوم الذي فتح فيه العمل للمرأة كالتدريس وغيره.

○ اهمال تربيتهم وتركهم لجلساء السوء وأهل الفسق والمجون يروحون معهم ويغدون في الفسق واللهو والفساد من غير إنكار ولا سؤال ولا حساب، فهذا من الظلم لهم والخيانة للأمانة.

وأظلم من هذا من يسعى بنفسه ويسافر بأولاده إلى دول الكفر والرذيلة فيسرحون هناك ويمرحون بلا رقيب، وكذلك من يسعى بجلب آلات اللهو والفساد إلى بيته بنفسه فيتربى عليها الصغير والكبير والذكر والأنثى؛ فيحمل هذا المسكين الظالم لنفسه وزر هذه الآثام ووزر من عمل بها وتأثر بها من أولاده وغيرهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً. فيجمع هذا الظالم بين ظلمه لنفسه بإحضاره أدوات الفساد، وظلمه لأولاده بأن تسبب في إضلالهم وإفساد دينهم وأخلاقهم وإحراق بيته ومن فيه من الذرية بيده الآثمة الظالمة.

ويدخل في ذلك كل ما من شأنه إفساد الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وكل ذلك مجتمع في أجهزة التلفاز والفيديو الموجه للفساد، والبث المباشر، والمجلات الخليعة، والقصص الماجنة، والكتب المضللة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٧] ﴿٢٨﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٨].

وقال الرسول ﷺ فيمن مات وهو غاش لرعيته: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) (١).

ويشتد هذا الظلم إذا كان الولد يرغب في الخير وأهل الخير ومجالس الخير ثم يقف الوالد في طريقه ويحول بينه وبين ذلك.

○ الغلظة على الأولاد والقسوة عليهم في غير موضعها، ومن ذلك سب الأولاد أو لعنهم أو ضربهم ضرباً لا يستحقونه ولم يأذن به الشارع الحكيم، وحتى الضرب المأذون به ينبغي أن لا يكون ضرباً مبرحاً للتشفي وتنفيس الغيظ، وإنما يكون للتأديب والعلاج، ولا يزيد عن حدِّه المأذون؛ وإلا صار ذلك ظلماً من الوالد لولده، وبعض الآباء هداهم الله يفهم من كونه قيماً للبيت وطاعته واجبة على أولاده أن

(١) مسلم في الإيمان (١٤٢) ١/١٢٥.

ذلك يسوغ له فعل ما يشاء معهم؛ فيتعدى حدود الله معهم، ويصير تأديبه لهم عذاباً وجحيماً. وفوق ما في ذلك من الظلم فيه أيضاً نشر للكراهية والبغضاء بين الوالدين وأولادهم.

ويدخل في الغلظة والشدة: حرمان الأولاد من عطف الوالدين وحنانهم، ومعاملتهم بجفاء وفضاظة، وتتبع عثراتهم دقها وجلها؛ مما ينشأ عنه في المقابل قسوة قلوب الأولاد، وغلظتهم على والديهم وأولادهم فيما بعد، فكما أن للوالد حق الطاعة والبر من الولد فكذلك من حق الولد على والده أن يحنو عليه ويشعره بالمحبة والعطف والرحمة.

ويكفي أن نراجع هدي الرسول ﷺ في معاملته لأولاده وعطفه وحنوه ورحمته لهم لنرى ذلك واضحاً جلياً؛ ومن ذلك ما حدثته عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم. فقال ﷺ: (أوأمك أن نزع الله من قلبك الرحمة) (١).

○ الجور في الوصية واختصاص بعض الأولاد بها دون بعض وفوق أن الوصية للوارث لا تجوز ولو ساوى فيها بين الأولاد، فإن اختصاص الوالد بها بعض الأولاد دون بعض يكون أشد ظلماً وإثماً.

(١) البخاري في صحيحه كتاب الأدب (٥٩٩٧).



○ التحايل على أكل مال الولد بالباطل وإفساده عليه .

○ اتهام الوالد لولده بما هو منه براء، والتجسس عليه، وإساءة الظن به دون مسوغ شرعي سوى الوسوس والأوهام .

○ غيبة الوالد لولده في المجالس ولمزه وغمزه وتشويه سمعته عند الناس .. ويشتد هذا الظلم إذا كان الولد صالحاً وقائماً بحقوق والديه .

○ السعي بالنميمة بين الأولاد أو بينهم وبين زوجاتهم وأقاربهم مما ينشأ عنه فساد ذات البين وقطيعة الأرحام .

○ إيغار صدر الولد على زوجته من قبل الوالدين أحدهما أو كلاهما والضغط عليه ليطلق زوجته التي يحبها أو التي قد رزق منها بنين وبنات كل ذلك دون مبرر شرعي، ولا يخفى ما في ذلك من المفاصد والظلم والعنت على الزوجين وأولادهما .

○ تغذية الأولاد بالمال الحرام الذي يجلبه الوالد لهم من المصادر المحرمة كالربا والغصب والسرقات والرشاوى والبيوع المحرمة وغير ذلك مما ينعكس أثره على تربية الأولاد وظلمهم بالسحت الذي تنبت منه أجسامهم .

○ إعانة الأولاد على ظلمهم وعدم نهيهم ومنعهم من ظلم الناس، كما يدخل في مقابل ذلك ترك نصرتهم على من ظلمهم بالعدل .

### الصورة الثالثة: «ظلم الأزواج لزوجاتهم»

شرع الله عز وجل حقوقاً للزوجة على زوجها متى ما فرط فيها الزوج فإنه يصبح ظالماً آثماً، إن حلته زوجته منها في الدنيا وإلا كان القصاص يوم القيامة: يوم يضع الله عز وجل الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً. ولا شك أن للزوج على زوجته حقوقاً عظيمة سيأتي بيانها في الصورة التالية إن شاء الله تعالى.

ولكن هذا لا يعني أن يعتمد الزوج على حقوقه ليظلم زوجته ويبخسها حقوقها. ولقد أوصى النبي ﷺ بالنساء في حجة الوداع فقال ﷺ: (... فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله) (١).

وفي ما يلي بعض الصور التي تعد من ظلم الأزواج لزوجاتهم:

○ أكل مهر الزوجة كله أو بعضه أو عدم الوفاء لها به، ويلحق بذلك جهازها الذي جهّزت به إلى بيت زوجها. فهذا كله ملك لها لا يجوز التصرف فيه إلا بإذنها ورضاها. قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، ويدخل في ذلك كل ما تملكه الزوجة من مال أو عقار أو غيره: فلا يجوز الاعتداء عليه من الزوج أو التصرف فيه إلا بإذنها، وإلا

(١) مسلم في الحج (١٢١٨).

كان ذلك من الزوج ظلماً وعدواناً.

○ ترك النفقة عليها وكسوتها وإسكانها بالمعروف؛ قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال سبحانه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]، وهذه الحقوق للزوجة تجب لها ولو كانت غنية وذات مال، كما تجب لها بعد الطلاق مادامت في فترة العدة، إلا المبتوتة على الراجح، والتقصير من الزوج في ذلك يعد ظلماً إلا أن يكون فقيراً فينفق حسب استطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فليُفِيقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سيجعلُ اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

○ إساءة عشرتها والإضرار بها، ولقد أوصى الله عز وجل بحسن المعاشرة لهن فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وعلى هذا فأي إساءة لها بقول أو فعل أو مضارة يعد ذلك ظلماً لها وعدواناً. والأمثلة للمضارة والإساءة كثيرة منها: السب واللعن لها أو لوالديها، وكذلك القسوة والغلظة والضرب لها دون مسوغ شرعي. وإذا وجد المسوغ الشرعي لضربها حال النشوز فيتجنب الوجه والضرب المبرح.

ومن سوء العشرة لها أيضاً: ترك إتيانها مدة طويلة تضرب بها من غير سبب صحي أو شرعي. ولو كان هناك سبب شرعي كالتأديب مثلاً فإن الهجر لا يجوز أن يتعدى أربعة أشهر قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

ومن الإضرار بها: التضييق عليها في النفقة أو السكنى أو الضرب والسب المستمر لها حتى يلجئها ذلك إلى افتداء نفسها بالمخالعة. فهذا كله من الظلم والعدوان المبين. ومن إساءة العشرة لها إفشاء سرّها، وما يكون بينها وبين زوجها في الفراش.

○ عدم العدل بين الزوجات فيما يقدر عليه الزوج كالنفقة والكساء والسكن والمبيت والمعاملة، وحين يوجد الميل مع زوجة دون الأخرى في مثل هذه الحقوق فإن ذلك يعد ظملاً وعدواناً من الزوج، ولا يعذر في ذلك إلا فيما لا قدرة عليه كالحبة والميل القلبي، والمساواة بينهن في الجماع.

قال الله عز وجل ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْوُلُوا﴾ [النساء: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩] والاستطاعة المنفية في الآية هي المحبة والميل القلبي؛ فلا يستطيع الزوج أن يعدل فيها بين نسائه.

○ ترك الزوجة جاهلة بدينها دون تعليم لها وتربية وبخاصة فيما يجب عليها معرفته كالتوحيد وأركان الإسلام والأحكام التي تخصها في الحيض والنفاس واللباس وغير ذلك مما يؤدي الجهل به إلى الإخلال في دين المرأة وعبادتها لربها وسلوكها وأخلاقها. وإهمال الزوج لزوجته في هذه العلوم الواجبة مع قدرته على تعليمها يعد ذلك منه ظلماً لامرأته ومنعاً لها من حقوقها.

ويلحق بذلك أمرها ونهيها لتستقيم على طاعة الله عز وجل، وعدم السكوت على ما يبدر منها من مخالفات سواء في نفسها أو بيتها أو على أولاده وأولادها. وكل ذلك من واجبات الزوج؛ لأنه المسؤول الأول عن أهله وبيته؛ وكما قال الرسول ﷺ: ( ... والرجل راع على أهل بيته ... الحديث )<sup>(١)</sup> فترك ذلك كله من الزوج يعد ظلماً منه لنفسه وأهله.

○ ضعف الغيرة على الزوجة. وهذه المسألة وإن كانت تابعة لما قبلها لكنها تحتاج إلى مزيد عناية وتأکید لخطورتها وانتشارها في هذا الزمان بشكل يندرج بالخطر. فإن من أعظم حقوق الزوجة على زوجها أن يغار عليها وأن يحميها من كل ما من شأنه النيل من عرضه وعرضها، وأن يصونها من كل ما يندس حياءها ومروءتها.

(١) البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩).

وقد يقول قائل: وهل هناك زوج لا يغار على زوجته؟ والجواب يكمن في السؤالات التالية: هل يغار على زوجته من يترك لها الحبل على الغارب تسرح وتمرح بمفردها في الأسواق، والمجتمعات المختلطة؟ وهل يغار على زوجته من يراها تخلو بالرجال الأجانب كالسائقين والخدم ولا يحرك لذلك ساكناً؟ وهل يغار على زوجته من يجلب لها أجهزة الفساد التي تقتل الغيرة والحياء وتمسي وتصبح على رؤية أراذل الخلق من رجال ونساء في مسلسلات الحب والعشق والغرام؟ وهل يغار على زوجته من يجلب لها أو يأذن لها بجلب قصص الغرام ومجلات الفساد؟ وهل يغار على زوجته من يراها تلبس لباس الفتنة والتبرج أمام الرجال الأجانب ثم لا يتمعر وجهه البتة؟ بل هناك من يتباهى ويفتخر بذلك والعياذ بالله تعالى.

إن ترك الزوجة على مثل هذه الأحوال يدل على ضعف الغيرة. وفي هذا ظلم للنفس وظلم للزوجة وظلم لعباد الله عز وجل بإشاعة الفتنة والفاحشة بينهم.

○ وفي مقابل الصورة السابقة توجد صورة أخرى من صور الظلم للمرأة ألا وهي الإفراط في الغيرة حتى تتحول إلى وساوس وظنون سيئة وتهم باطلة من الزوج لزوجته. فما دامت المرأة ملتزمة بأحكام الله عز وجل وملتزمة بالستر والعفاف والحياء فإن إساءة الظن بها واتهامها بما هي منه بريئة يعد ظلماً لها وعدواناً.

○ تكليفها بما لا يطاق أو أمرها بمعصية الله عز وجل أو ما يؤدي بها إلى المعاصي والمنكرات .

○ السعي بالنميمة بين الزوجة وأولادها أو أهلها أو أهله مما ينشأ عنه الكراهية والشحناء بين الزوجة وأولادها أو بين الزوجة وأهله أو أهلها، ولا يخفى ما تنتهي إليه هذه الأحوال من القطيعة والنفرة وإفساد ذات البين .

ويلحق بذلك فتح الأذن والاستماع لكل ما يقال في الزوجة من القيل والقال والظنون الفاسدة والتي قد توغر صدر الزوج وتدفعه بلا تثبت إلى طلاق المرأة المسكينة، وقد تكون بريئة من كل ما أثير حولها . فالمسارعة بفراق الزوجة وعدم التثبت يعد ظلماً لها .

○ منع الزوجة من صلة أرحامها كالوالدين وغيرهما دون مبرر شرعي . وفي هذا ظلم من الزوج لزوجته من جانب، وظلم لأقاربه من جانب آخر لما ينشأ عن ذلك من هجر وقطع للأرحام .

### الصورة الرابعة: «ظلم الزوجة لزوجها»

من المعروف أن الظلم في الغالب يصدر من القوي للضعيف ومن الرئيس للمرؤوس، أما أن يصدر من الضعيف إلى القوي ومن المرؤوس إلى الرئيس فهذا أمر يحتاج إلى إيضاح، وهو ما نحن بصدده في هذه



الصورة؛ حيث إن تصور ظلم الزوج لزوجته أمر ميسور كما مر بنا في الصورة السابقة، أما صدوره من الزوجة لزوجها فقد لا يتضح إلا بالأمثلة التالية:

○ ترك طاعته بالمعروف والنشوز عليه؛ ففي هذا ظلم للزوج بترك حق من حقوقه التي أوجبها الله عز وجل ورسوله ﷺ على المرأة؛ قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

وقال ﷺ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)<sup>(١)</sup>. ويلحق بمعصية الزوج ترك خدمته بالمعروف والتعالي عليه وإجائه إلى خدمة نفسه وإشغال وقته بذلك.

والحاصل من كل ما سبق أن طاعة الزوجة لزوجها في غير معصية الله تعالى وفيما تقدر عليه واجبة، وهي حق من حقوق الزوج على زوجته، وتصير المرأة ظالمة لزوجها بتفريطها في ذلك.

(١) البخاري في بدء الخلق (٣٢٣٧).

○ الخروج من بيته بدون إذنه . وهذه المسألة فرع عن سابقتها؛ لأن من لوازم طاعة الزوج أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه . وفي مخالفة المرأة لذلك تفريط في حق من حقوق الزوج إلا أن تعلم إذنه المسبق لها لبعض الأماكن وأنه لا يمانع في ذلك، فهذا ينوب مناب الإذن لها . ويلحق بهذه المخالفة إذن الزوجة لأحد بدخول بيت زوجها مع علمها بكراهيته لذلك؛ فهذا أيضاً يعد من ظلم الزوجة لزوجها ومنعه حقاً من حقوقه؛ قال ﷺ : ( فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنن في بيوتكم لمن تكرهون )<sup>(١)</sup> .

○ سوء العشرة مع الزوج وإساءة الأدب معه بقول أو فعل والتسبب في إيصال الأذى والغموم والهموم إليه . كل ذلك مما تعاقب عليه المرأة، وتصبح بذلك ظالمة معتدية على حق عظيم من حقوق الزوج، ألا وهو الأدب معه، وحسن العشرة، وتوفير السكن النفسي والجسدي للزوج، والذي هو من غايات الزواج وأهدافه .

○ عدم تمكينه من نفسها دون عذر شرعي لها . وفي هذا ظلم للزوج من عدة جوانب؛ من ذلك معصيته وعدم طاعته، وفي هذا ترك لحق من حقوق الزوج، ألا وهو الطاعة بالمعروف، وقد سبق ذكر ذلك في النقطة الأولى، وظلم له أيضاً لكونها تسببت بذلك في تطلعه

(١) الترمذي في الرضاع (١١٦٣) وقال: حسن صحيح .

غيرها، وعدم غض بصره. وقد يؤدي به الأمر إلى الوقوع في الفاحشة. وبذلك تشترك معه في الإثم لعدم إعانته على غض بصره وتحسين فرجه.

كما تعتبر ظالمه له أيضاً بإحزانه وبث القلق والغم في نفسه. ويلحق بذلك صوم الزوجة تنفلاً دون إذن الزوج؛ لأن في ذلك تفويتاً لحق الزوج في قضاء وطره من زوجته عند حاجته لذلك. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: ( لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه )<sup>(١)</sup>.

○ إنكار جميل الزوج ومعروفه وعدم شكر أفضاله عليها بمجرد أن ترى في يوم من الأيام ما تكره؛ وفي هذا ظلم للزوج وهو الذي سمّاه الرسول ﷺ كفران العشير؛ وذلك لما سئل أيكفرن بالله؟ قال: ( يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت: والله ما رأيت منك خيراً قط )<sup>(٢)</sup>.

○ قلة حياء الزوجة ودينها بإطلاق بصرها إلى الرجال الأجانب أو التبرج أمامهم أو الخضوع بالقول معهم. إن كل ذلك فوق ما فيه من

(١) البخاري في النكاح (٥١٩٥).

(٢) البخاري. في النكاح ٩/٢٦١، مسلم في الكسوف (٩٠٧).

الإثم والمخالفة فيه الظلم والخيانة للزوج بتشويه سمعته وعرضه عند الناس .

○ إهمال تربية أولاده في صغرهم، وعدم الحرص على صحتهم وتغذيتهم ونظافتهم؛ مما يجعل الزوج يشغل باله بهم ويتحمل جزءاً كبيراً من ذلك، مما ينعكس أثره على صحة الزوج وضياع وقته وتفويت مصالحه في الخارج مع أن هذه الحقوق يقع أغلبها على الزوجة . ويلحق بهذا قيام الزوجة بالوقیعة بين الزوج وأولاده، وشحن صدور الأولاد على أبيهم مما ينشأ عنه حقد الأولاد وكرهيتهم له .

○ إرهاب الزوج بالنفقات الباهظة من غير حاجة إليها؛ مما ينشأ عنه تحمل الزوج للديون الكبيرة من الناس . وفي هذا هم الزوج وغمه وتعريضه لحقوق الخلق؛ وقد لا يستطيع الوفاء بها مما يؤدي به إلى السجن وغيره، وكل ذلك بسبب الزوجة الظالمة الحمقاء .

○ غيبة الزوجة لزوجها عند أهله أو أهلها أو قرابتها . وفي هذا ظلم للزوج لأن الغيبة حرام بين المسلمين وهي بين الأقارب أشد حرمة وظلماً .

○ السعي بالنميمة بين الزوج ووالديه أو إخوانه وأخواته أو غيرهم من الأقارب؛ مما يكون له أكبر الأثر في تقطيع الأرحام وإفساد أوامر

الود والمحبة بين الزوج وأقرب الناس إليه، ويلحق بذلك غيبة الوالدين أو الأخوة والأخوات عند الزوج، وإيغار صدره بذلك مما ينشأ عنه ترك الولد لوالديه وبعده عنهم؛ كل ذلك بسبب الزوجة الظالمة الباغية.

○ الاعتداء على أموال الزوج الموفي للزوجة حقوقها بسرقة أو احتيال أو ضغوط معينة حتى يدعن للزوجة كارهاً للتنازل عن أمواله؛ كل ذلك يعد ظلماً وعدواناً على الزوج وأمواله.

○ السكوت على منكرات الزوج في نفسه أو بيته، وعدم مناصحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وأشد ظلماً من هذه تلك الزوجة التي تعين زوجها على المنكرات أو تحثه وتلح عليه بها. فما أشد ظلمها لنفسها وزوجها وأولادها نعوذ بالله من ذلك.

ومن أشهر المنكرات التي تتسبب فيها الزوجة غالباً: إدخال آلات اللهو والفساد في البيت وارتداء الألبسة المحرمة لها ولبناته، والسفر إلى بلاد الفساد والرذيلة ودخول السوق بلا محرم والخلوة بالسائق الأجنبي وغير ذلك.

○ طلب الزوجة الطلاق من زوجها من غير سبب شرعي إلا المضارة للزوج ومساومته والتعالي عليه؛ قال الرسول ﷺ: (أيما امرأة سألت

زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة<sup>(١)</sup>.

### الصورة الخامسة: «ظلم أهل العلم والدعاة بعضهم لبعض»

وهؤلاء النخبة من الناس هم صفوة المجتمعات من العلماء وطلبة العلم والدعاة والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر؛ حيث لهم الأثر الطيب على الأمة. ولكن الشيطان بمكره وكيده لا يقر له قرار وهو يرى من يقف في طريق إفساده من العلماء والمصلحين، ولذا فهو لا يفتأ يثير الشحناء وينشر الظلم والتحريش بين أهل الخير حتى تدب الفرقة في صفوفهم، ويضعف أثرهم على الأمة، وقد وقع هذا في الأمة مع ما جاءنا من التحذير من ذلك في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ؛ فالواجب على العبد المسلم المحب لنفسه الخير والسلامة في الدنيا والآخرة أن يسعى لنجاة نفسه من هذه الفتن، وأن يخرج من الدنيا وما في قلبه غل لأحد من أهل الخير، ولا يطالبه أحد منهم أو من غيرهم بمظلمة في عرض أو مال أو نفس.

وأسوق فيما يلي ما ظهر لي في هذا الزمان من بعض صور الظلم الحاصلة بين بعض أهل العلم والدعوة عافانا الله من ذلك:

○ الغيبة والنميمة التي تنشأ في الغالب من الحقد والحسد لعالم أو داعية ظهر أثره على الناس، وألقي له القبول والمحبة بينهم؛ فتبدأ نيران

(١) أبو داود في الطلاق ٢/٢٦٨ (٢٢٢٦)، قال الحافظ في الفتح ٩/٣٠٤:

وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

الحسد والغيرة تأكل في أصحاب القلوب المريضة، ويدفعهم ذلك إلى أكل لحوم المخلصين من أهل العلم وتتبع عثراتهم والتقليل من شأنهم. وفي هذا كله ظلم للنفس بمعصية الله عز وجل ومخالفتها لما نهى عنه سبحانه من الغيبة والنميمة بين المسلمين عامة، فكيف بها مع أهل الفضل والعلم والدعوة والإصلاح، فوق ما فيها من ظلم العباد وتحمل حقوقهم وتبعاتهم يوم القيامة.

ويلحق بذلك إساءة الظن بأهل العلم والدعاة إلى الله عز وجل، وتفسير النوايا والمقاصد حسب الأهواء والشهوات، وإشاعة ذلك بين الناس دون علم وعدل وتثبت، فإذا كانت إشاعة الخبر الصادق عن فلان من الناس لا تجوز إذا كان يكرهه لأنها غيبة، فكيف إذا كان الأمر محض الكذب والافتراء والظنون الفاسدة؟ إنه والله الظلم والبهتان، وقد نهى الله عز وجل المؤمنين عن ذلك كله في آية واحدة فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ أَنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ) (١).

(١) مسلم في البر والصلة (٢٥٨٨).



○ إلحاق الأذى والضرر بأحد من أهل العلم والإصلاح سواء في بدنه أو عرضه أو ماله . كل ذلك من الظلم الذي سيحاسب عليه العبد المتسبب فيه يوم القيامة، يوم الفصل والحساب، يوم يكون القصاص بالحسنات والسيئات لا بالدينار والدرهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ومن صور ذلك: السعي بتشويه سمعة أهل الخير سواء في أنفسهم أو أهليهم، ومن ذلك السعي بالوشاية على أهل الخير لدى الظلمة حتى يؤذوهم بسجن أو قتل أو تعذيب أو مصادرة أموال وحریات، ومعلوم ما في ذلك من الأذى والضرر العظيمين على هذا المظلوم وأهله وأولاده وأمته التي تحرم خيره وأثره الطيب ببعده عنها. كل ذلك يحصل ويا للأسف والأسى من بعض من يدعي العلم والغيرة على الدين وما درى هذا الظالم لنفسه والظالم لعباد الله المتقين إنما يحقق ظلمه هذا على نفسه. وما درى أنه مع ذلك قد ظلم نفسه حقاً وذلك بما ينتظره من تحمل تبعات عباد الله عز وجل، هل يستطيع ظهر هذا الآثم الظالم حمل كل هذه الحقوق؟!

○ بخس أهل العلم حقهم وبلاءهم وجهدهم وجهادهم بمجرد عثرة وجدت عليه أو أكثر. فمن الظلم البين أن تنسى كل الأعمال الخيرة لداعية أو طالب علم وتتلاشى عند أول هفوة منه، مع أن الموقف

العدل هو العكس تماماً؛ ذلك بأن أهل الفضل والبلاء الحسن تغتفر لهم السيئة والسيئتين والثلاث، وتنغمر في بحر حسناتهم العظيمة؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «... وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم؛ أن من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر داعي العقوبة كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيح»<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً: «... ولكن من قواعد الشريعة والحكمة أيضاً أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل من غيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره؛ فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث...»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى بعد كلام له في التحذير من إشاعة أخطاء العلماء وإهدار محاسنهم: «ثم لو فرض أن ما أخطأوا

(١) مفتاح دار السعادة ص ١٩٢ ط. المصرية.

(٢) مفتاح دار السعادة ص ١٩٢ ط. المصرية.

أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عذر، لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحاسن وتمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير؛ كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير وفساده مستطير. أي عالم لم يخطئ؟ وأي حكيم لم يعثر؟!...».

ثم قال في بيان صفات أهل العلم والدين: «فتجدهم متقربين إلى الله بمحبة أهل العلم والدين جاعلين محاسنهم وآثارهم وتعليمهم ونفعهم نصب أعينهم، قد أحبوهما لما اتصفوا به وقاموا به من هذه المنافع العظيمة، غير مبالين بما جاء منهم إليهم من القدح والاعتراض، حاملين ذلك على التأويلات المتنوعة، ومقيمين لهم الأعذار الممكنة، وما لم يمكنهم مما نالهم منهم أن يجدوا له محملاً عاملوا الله فيهم، فعفوا عنهم لله، راجين أن يكون أجرهم على الله، وعفوا عنهم لما لهم من الحق الذي هو أكبر شفيح لهم، فإن عجزوا عن هذه الدرجة العالية التي لا يكاد يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد: نزلوا إلى درجة الإنصاف، وهو اعتبار ما لهم من المحاسن ومقابلتها بالإساءة الصادرة منهم إليهم، ووازنوا بين هذه وهذه، فلا بد أن يجدوا جانب الإحسان أرجح من جانب الإساءة أو متساويين أو ترجح الإساءة، وعلى كل حال من هذه الاحتمالات فيعتبرون ما لهم وما عليهم.

وأما من نزل عن درجة الإنصاف فهو بلا شك ظالم ضار لنفسه، تارك من الواجبات عليه بمقدار ماتعدى فيه من الظلم. فهذه المراتب

الثلاث: مرتبة الكمال، ومرتبة الإنصاف، ومرتبة الظلم، تميز كل أحوال أهل العلم ومقاديرهم ودرجاتهم ومن هو القائم بالحقوق ومن هو تارك، والله تعالى هو المعين الموفق»<sup>(١)</sup>.

ويقول محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى: «يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات أن لا ينسى ما غلب عليهم من الحق والخير؛ فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات. ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحين من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات»<sup>(٢)</sup>.

وقد صدق من قال: «من طبيعة البشر أنهم أصحاب ذاكرة جيدة تذكر الإساءة، وذاكرة ضعيفة تنسى الإحسان، وكثير ما يجلس الواحد منا يعدد جرائم صاحب له ولا يذكر فضلاً واحداً له»<sup>(٣)</sup>.

ومما يدخل في هذه الصورة من الظلم: الحكم على أخطاء الدعاة بمعيارين مختلفين وليس بمعيار واحد مع الجميع؛ ومثال ذلك أن يوجد

(١) الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة (ص ٩٦ - ٩٩) باختصار.

(٢) مقدمة العواصم من القواصم (ص ٣).

(٣) انظر: أقوال ماثورة وكلمات جميلة ص ٥٣٨، د. محمد لطفي الصباغ

ط ٢: ١٤١٤ هـ المكتب الإسلامي بيروت.

شخصان من أهل العلم يخطئان خطأً واحداً، فيأتي من جانب العدل في مواقفه فيعذر من يحب منهما ويذكر حسناته وبلاءه حتى يصغر خطؤه، أما الآخر فيشنع عليه خطأه ويضخمه، ويسيء الظن به، وينسى حسناته، ويشهر به، مع أن الخطأين منهما واحد. فلماذا هذان المعياران المختلفان؟ إن هذا من الظلم والتطفيف في الميزان وقد نهى الله عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

[المطففين: ١ - ٣].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عند هذه الآية: «ودلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات... وفي هذا الموضوع، يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه»<sup>(١)</sup> أهـ. وإذا أردنا معرفة هذا الظلم في أنفسنا فلننظر إلى تقويمنا لأخطاء أنفسنا وأخطاء غيرنا؛ فقد يجد الواحد منا من نفسه بعض الزلات والأخطاء ثم يرى نفس هذه الزلات على غيره فلا يكون حكمه على هذه الأخطاء واحداً على نفسه وعلى غيره، بل يكون الإنسان مع نفسه ألين وأقل لوماً وتعنيفاً لها من غيره ممن عمل نفس الأخطاء، وكما جاء في المثل: يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع

(١) تفسير السعدي عند الآية (١) من سورة المطففين.

في عين نفسه . وهذا سببه اختلال في الميزان وميل النفس مع من تهوى .

وأسوق بهذه المناسبة حواراً جميلاً جرى بين صحابيين من أصحاب الرسول ﷺ يردّ فيه معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَسُورِ ابن مخزومة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما ذكر له ما يعلمه عليه من أخطاء، لعلها ترسم لنا منهجاً عادلاً في التعامل مع الأخطاء:

عن عقيل، ومَعْمَر، عن الزهري، حدثني عروة عن المسور بن مخزومة أخبره أنه وفد على معاوية، فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال: يا مسور! ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن. قال: لا والله لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيب علي. قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بينت له. فقال: لا أبرأ من الذنب. فهل تعد لنا يا مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنه بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب، وتترك الإحسان؟ قال: ما نذكر إلا الذنوب. قال معاوية: فإننا نعتزف لله بكل ذنب أذنبناه، فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تغفر؟ قال: نعم. قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقّ مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين؛ بين الله وبين غيره، إلا اخترت الله على ما سواه، وإنني لعلني دين يقبل فيه العمل ويُجزئ فيه بالحسنات، ويُجزئ فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها. قال:

فخصمني . قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه<sup>(١)</sup> .

○ الفرح بوقوع أهل الخير في الأخطاء والمخالفات، والحزن والانقباض عند إصابتهم للحق أو ظهور الخير على أيديهم ومحبة الناس لهم . كما يلحق بهذا الشماتة والفرح عندما يحل الضرر والأذى بأحد من أهل العلم . كل هذا - والعياذ بالله تعالى - من الظلم والحقد الذي يجب على كل مسلم - فضلاً عن أهل العلم - أن يجتنبوه ويسعوا لعلاج هذه الأمراض الخطيرة إذا أحسوا بوجودها في القلوب .

○ عدم الصدق والوضوح بين بعض أهل العلم، والتعامل بأسلوب المراوغة والغموض والذي مآله إلى الكذب والخداع والغدر والخيانة، وفي هذا كله ظلم وفساد ومحق للبركة والخير . كما أن فيه إذكاء للفرقة والعداوة والظنون السيئة . وباليات من يقع في هذه الأعمال المشينة يقر بخطئه ويمقت فعله، إذن لكان الأمر أهون، ولكن المصيبة في وجود من لا يرى في هذه الممارسات بأساً بل يعدها من الحنكة والسياسة والمصلحة!! نعوذ بالله من أن نكون ممن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم .

○ السكوت على ما يقع على الدعاة من ظلم وعدوان، والقعود عن نصره المظلوم منهم؛ وذلك بحضور المجالس التي يحصل فيها النيل

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٠، ١٥١ .



من أعراضهم وإساءة الظن بهم وإثارة الشائعات والتهم الباطلة عليهم . لا ينتصر لهم أحد في المجلس ولا يذب عن أعراضهم مع العلم ببراءتهم مما يشاع عنهم . إن هذا الصنيع من جميع الحاضرين لهذه المجالس ناطقهم وساكتهم يعد ظلماً وعدواناً؛ وقد قال الرسول ﷺ : ( انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً )<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً : ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ... الحديث )<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : ( ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً عند موطن تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته )<sup>(٣)</sup> .

وقد اشترط الرسول ﷺ على الجالسين على قارعة الطريق أن يعينوا المظلوم فقال : ( إن أبيتم إلا أن تجلسوا فاهدوا السبيل، وردوا السلام وأعينوا المظلوم )<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ في فضيلة نصرته المسلم : ( من نصر أخاه بظهر الغيب، نصره الله في الدنيا والآخرة )<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) البخاري . في الإكراه ( ٦٩٥٢ ) .

( ٢ ) البخاري . في المظالم ( ٢٤٤٧ ) .

( ٣ ) مسند أحمد ٤ / ٣٠ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ( ٥٦٩٠ ) .

( ٤ ) أحمد ٤ / ٢٨٢ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ( ١٤٠٧ ) .

( ٥ ) البيهقي في السنن الكبرى ٨ / ١٦٨ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع

( ٦٥٧٤ ) .

○ قيام بعض الدعاة هداهم الله بعرقلة بعض مجالات الخير والصلاح وحرمان الأمة منها بحجة أن القائمين عليها لا يوافقونه في بعض مواقفهم، أو أنهم ليسوا من طائفته وحزبه، أو أن عليهم ملاحظات كيت وكيت... إلخ. ولا يخفى ما في ذلك من الظلم والعدوان على النفس وعلى أهل الخير وعلى الأمة بحرمانها من هذه المجالات الدعوية الخيرة، وبخاصة في هذا الزمان الذي انفتحت فيه أبواب الشر على مصاريعها وعم الفساد وطم، وصار واجباً على كل مسلم أن يفرح بأي باب من الخير يفتح وبأي باب من الشر يغلق؛ سواء تم ذلك على يديه أو على يد غيره ممن يعرفه أو لا يعرفه. والداعية المخلص صاحب القلب السليم يفرح بكل داعية إلى الخير ويحبه ويدعو له ولو كان يخالفه في مسائل معينة. ومن الظلم إهدار الجهود الخيرة لبعض الدعاة بمجرد التحفظ على بعض مواقفهم، ومن الظلم التقليل من هذه الجهود وتحقيرها أو إساءة الظن بفاعليها.

○ ومن مظاهر الظلم بين بعض أهل العلم ما يكون بينهم من جور في الردود والمناظرات سواء كانت مكتوبة أو منطوقة لأن الردود في الغالب لا تخلو من الهوى وحظوظ النفس ولذا فينبغي لطالب العلم أن لا يلجأ إلى الرد على من يخالفه إلا في أضيق نطاق وعند الضرورة أو الحاجة لذلك، وإذا احتاج إلى ذلك فينبغي تفقد النفس وحظوظها أثناء الرد حتى لا يجور في رده على مخالفه. ومن الأمور التي تكون

في الغالب مدعاة إلى ظلم المخالف والعدوان عليه أثناء الردود ما يلي :

أ- تفسير النوايا والمقاصد : لأن أمر النوايا والدوافع إلى الله عز وجل فهو الذي يعلم ما تخفي الصدور وهو سبحانه علام الغيوب . ولا يستطيع أحد من البشر الشق عن قلوب الناس والإخبار عن نواياهم إلا أن يخبر الشخص بنفسه عن نيته وقصده فهذا هو الممكن فقط . وما سوى ذلك فإن تفسير إنسان ما لنية إنسان آخر يعد ظلماً وعدواناً وبخاصة إذا كان التفسير شيئاً مشيناً .

ب- إلزام المخالف بما لا يلتزم به : الإلزام بلازم القول يرد كثيراً في الردود والمناظرات ، وهو أسلوب جيد في إقامة الحجة على المخالف ، وتذكيره بما يلزم على قوله حتى يعود عنه ، وهذا يصلح مادام المتناظران موجودين ، أو أن إمكانية الرد من أي طرف ممكنة . لكنه لا يصلح البتة في إلزام المخالف بلازم قوله وأنه هو رأيه وموقفه مع أنه لا يسلم بذلك . وبمعنى آخر لا يجوز أن ينسب لشخص ما رأي أو موقف بناء على ما يلزم من بعض كلامه ؛ لأنه قد يقول قولاً ولا يسلم بلازمه ؛ والمواقف والاعتقادات تؤخذ من صريح كلام أهلها لا من لازم كلامهم ، ومن الظلم أن ينسب إلى شخص ما رأي أو اعتقاد بناء على ما يلزم على كلامه .

ومثال ذلك ما ذكره الشاطبي رحمه الله تعالى عن حاله وحال بعض أهل زمانه الذين ألزموه بلوازم لم يقل بها ولم يعتقدوها ؛ فقال

عما نسب إليه كذباً وبهتاناً: « فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه - كما يعزي إليَّ بعض الناس - بسبب أنني لم ألتزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة حالة الإمامة، وسيأتي ما في ذلك من المخالفة للسنة والسلف الصالح والعلماء.

وتارة نُسِبْتُ إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم بسبب أنني لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص، إذ لم يكن ذلك من شأن السلف في خطبهم، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين في أجزاء الخطب.

وقد سُئِلَ أصبغ عن دعاء الخطيب للخلفاء المتقدمين؟ فقال: ( هو بدعة، ولا ينبغي العمل به، وأحسنه أن يدعو للمسلمين عامة). قيل له: فدعاؤه للغزاة والمرابطين؟ قال: ( ما أرى به بأساً عند الحاجة إليه، وأما أن يكون شيئاً يَصْمُدُّ له في خطبته دائماً؛ فإنني أكره ذلك).

ونصَّ أيضاً عز الدين بن عبد السلام على أن الدعاء للخلفاء في الخطبة بدعة غير محبوبه.

وتارة أُضِيفَ إليَّ القولُ بجواز القيام على الأئمة؛ وما أضافوه إلا من عدم ذكرهم في الخطبة، وذكرهم فيها محدث لم يكن عليه من تقدم.

وتارة حَمَلَ عَلِيَّ التَّزَامَ الْحَرَجَ وَالتَّنَطَّعَ فِي الدِّينِ؛ وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلِيٌّ ذَلِكَ أَنِّي التَّزَمْتُ فِي التَّكْلِيفِ وَالْفَتْيَا الْحَمْلَ عَلِيٌّ مَشْهُورُ الْمَذْهَبِ الْمُلْتَزِمِ لَا أَتَعَدَّاهُ، وَهُمْ يَتَعَدُّونَهُ وَيَفْتَوْنَ بِمَا يَسْهُلُ عَلَيَّ السَّائِلُ وَيُؤَافِقُ هَوَاهُ - وَإِنْ كَانَ شَادِذًا فِي الْمَذْهَبِ الْمُلْتَزِمِ أَوْ فِي غَيْرِهِ -، وَأُئِمَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلِيٌّ خِلَافَ ذَلِكَ، وَلِلْمَسْأَلَةِ بَسْطَ فِي كِتَابِ الْمَوَافَقَاتِ .

وتارة نسبتُ إليَّ معادة أولياء الله؛ وسبب ذلك أنني عادتُ بعضَ الفقهاء المبتدعين المخالفين للسنة، المنتصبين - بزعمهم - لهداية الخلق، وتكلمتُ للجمهور عليَّ جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إليَّ الصوفية ولم يتشبهوا بهم.

وتارة نسبتُ إليَّ مخالفة السنة والجماعة بناء منهم علي أن الجماعة التي أمرنا بها - وهي الناجية - ما عليه العموم، ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان. وسيأتي بيان ذلك بحول الله، وكذبوا عليَّ في جميع ذلك أو وهموا<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ج- الوقوف عند كلام محتمل للمردود عليه وإلزامه بفهم معين يحدده المخالف وبناء علي هذا الفهم يصنف المخالف ويرمى بالتهمة التي هو بريء منها، مع أنه قد يكون هناك كلام واضح محكم للمردود عليه في مواطن أخرى من كتبه أو كلامه لو رد إليها المشتبه منها لتبين المعنى المراد في كلامه المحتمل، وهذا هو المنهج العادل في التعامل مع

(١) الاعتصام ١/٣٦، ٣٧.

المخالف . أما الوقوف مع المشتبه من الجمل والمحمل لعدة معان دون ردها إلى الواضح منها؛ فإن هذا من الظلم والجور وبخاصة إذا ترتب على ذلك رمي المخالف بالتهم والقذح في عقيدته وتبديعه أو تكفيره أو منابذته ومقاتلته . بل إن الوقوف مع الجمل المشتبهة دون ردها إلى الجمل المحكّمة هو من مأخذ أهل البدع في الإستدلال وقد ذكر ذلك الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه القيم : الاعتصام .<sup>(١)</sup> وأضرب مثلاً لأحد الدعاة الذين وقعوا تحت هذا النوع من الظلم في هذا الزمان ألا وهو سيد قطب رحمه الله تعالى؛ فلقد تعرض للقذح في عقيدته من البعض - هداهم الله - حيث وقفوا عند بعض الجمل المحتملة لأكثر من معنى في بعض كتاباته وحكموا على الرجل بفهمهم الخاص دون أن يردوه إلى الواضح من كلامه والذي ينفي ويبطل ما فهموه من كلامه المحمل .

ومن التهم الجائرة التي تعرض لها رحمه الله تعالى : نسبته إلى القائلين بوحدة الوجود بناء على كلام مجمل ذكره عند تفسير سورة الإخلاص وأول سورة الحديد، حلق به الأسلوب فاسترسل بعبارات مجملة ليته جاء بغيرها، لكن من الظلم له أن يرمى بعقيدة وحدة الوجود بمجرد كلام مجمل ومحتمل، كيف وهو قد صرح في موطن آخر من تفسيره بكلام محكم صريح في رفضه لهذه العقيدة ورده

(١) الاعتصام للشاطبي ١ / ٢٢٠ .

على أهلها. ولو أن من تسرع في رميه - رحمه الله تعالى - بهذه التهمة رجع إلى هذا الكلام الصريح له لندم على اتهامه وتاب إلى الله سبحانه من هذا الظلم إن سلم القلب من الهوى والغرض.

وأسوق الآن كلا الوطنين اللذين في أحدهما إجمال واحتمال قد يفهم منه التأثير بعقيدة وحدة الوجود، والوطن الثاني صريح وواضح في رفضة رحمه الله تعالى لهذه العقيدة وأنه لم يدر في خلقه هذا الفهم في الوطن الأول. وأترك الحكم للقارئ الكريم.

قال رحمه الله تعالى في تفسر سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .. وهو لفظ أدق من لفظ واحد.. لأنه يضيف إلى معنى واحد أن لا شيء غيره معه. وأن ليس كمثل شيء.

إنها أحدية الوجود.. فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده. وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية.

وهي - من ثم - أحدية الفاعلية؛ فليس سواه فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، في هذا الوجود أصلاً، وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضاً» أه..

أما الوطن الثاني الذي صرح فيه برفضه لعقيدة وحدة الوجود فهو ما ذكره في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ ﴿٢٢١﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ



فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧].

قال رحمه الله تعالى بعد رده على الفلاسفة الذين فسروا هذا الوجود بعقولهم الفاسدة: «والنظرية الإسلامية: أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شيء... ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة: وحدة الوجود على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح - أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة - أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده.. أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس.. والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر: وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة، ووحدة ناموسه الذي يسير به، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربه في عبادة وخشوع» انتهى كلامه يرحمه الله.

فهل بعد هذا الرفض الصريح لعقيدة وحدة الوجود مدخل لأحد يتهم الرجل لما هو يرفضه ويتبرأ منه. غفر الله لسيد قطب عبارته هذه والذي جنح به خياله الأدبي فجاء بأسلوب وسع فيه العبارة، ولا ندعي العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ.

○ الظلم الذي يجب أن يحذره أهل العلم في حق الأمة:

العلم أمانة عظيمة في أعناق أهله، وحرمان الأمة منه وتركها في الجهل والضلال يعد ذلك ظلماً لها وخيانة للأمانة؛ قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

ويمكن تلخيص بعض أشكال هذا الظلم فيما يلي:

أ- ترك الأمة جاهلة بأحكام دينها وما افترض الله عز وجل عليها بداية من معرفة التوحيد وما يضاده من الشرك وانتهاءً بالأحكام الفقهية العينية التي يجب على كل مسلم بعينه أن يعرفها.

ب- ترك الأمة في لهوها وفسادها ومنكراتها لا تؤمر ولا تنهى ولا يؤخذ على أيدي السفهاء منها؛ قال تعالى ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ [المائدة: ٦٣].

ج- ترك الأمة حائرة فيما ينزل بها من النوازل دون هدايتها إلى وجه الحق في نوازلها وما ينبغي فعله إزاءها، وإسلامها للجهلة والمفسدين لتصدر عن آرائهم ومواقفهم.

د- تضليل الأمة بكتفم الحق عنها أو لبسه بالباطل مما يجعلها تعيش في عماية من أمرها تحسب الحق باطلاً والباطل حقاً.

ه- عدم تبني أهل العلم لقضايا الأمة والدفاع عنها والقعود عن نصرة المظلومين فيها.

ز- تلبس بعض أهل العلم ببعض المخالفات الشرعية وتقليد العامة لهم فيها إما عن جهل أو هوى ومغالطة.

## الصورة السادسة: «الظلم الذي يجب أن يحذره القضاة»

القضاء أمانة عظيمة ومهمة خطيرة، كيف لا وهو يحكم في دماء الناس وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم وقد شرعه الله عز وجل لحفظ هذه الضروريات وحمايتها من العدوان والتلف والخرج، فيا سعد من أخذه بحقه فحكم بالعدل والحق، ويا خيبة من ضيع الأمانة وحكم بالهوى والجور ووضع نفسه خصماً لعباد الله المظلومين بين يدي الله عز وجل يوم القيامة.

ولأجل ما في القضاء من المسؤولية العظيمة خافه كثير من السلف واعتذروا من تحمله خشية أن يجوروا ولو في أمور يسيرة، ومن هذه الأحاديث التي أخافتهم قوله ﷺ: (من جعل قاضياً، فقد ذبح بغير سكين)<sup>(١)</sup>.

قال أبو سليمان الخطابي: «معنى هذا الكلام التحذير عن طلب القضاء. وقوله: بغير سكين؛ يحتمل وجهين من التأويل أحدهما: أن الذبح إنما يكون في ظاهر العرف وغالب العادة بالسكين، فعدل به رسول الله ﷺ عن سنن العادة إلى غيرها، ليعلم أن الذي أراده بهذا القول إنما هو ما يخاف عليه من هلاك دينه، دون هلاك بدنه. والوجه

(١) الترمذي (١٣٢٥)، والبخاري في شرح السنة (٢٤٩٦)، وقال هذا

الآخر: أن الذبح الوحيُّ أي (السريع) الذي يقع به إراحة الذبيحة وخلصها من طول الألم إنما يكون بالسكين، وإذا ذبح بغير السكين كان خنقاً وتعذيباً، فضرب المثل بذلك ليكون أبلغ في الحذر من الوقوع فيه»<sup>(١)</sup>.

والم تأمل في الوصية التالية من عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما ولاه القضاء يرى في بنودها التحذير من كل ما يؤدي إلى الظلم؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما بعد: فإنَّ القضاءَ فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق، لا نفاذ له، آس الناس في مجلسك، وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البَيِّنَةُ عَلَى المدعي، واليمين على من أنكروا، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحلَّ حراماً، أو حرَّم حلالاً، ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة، فاضرب له أمداً ينتهي إليه؛ فإنَّ بَيْنَهُ أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحلت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر، وأجلى للعماء.

(١) شرح السنة ١٠/٩٢، ٩٣. ولا يفهم من هذا الحديث الامتناع مطلقاً من القضاء، وإلا ضاعت حقوق الناس ودبت الفوضى بينهم. ولكن المقصود الحذر من الظلم فيه، والابتعاد عنه إذا كان هناك من يكفي للقيام بمصالح العباد.

ولا يمنعنك قضاء قضيت في اليوم فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق؛ فإن الحق قديم، لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل.

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنياً في ولاء أو قرابة؛ فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان.

ثم الفهم الفهم، فيما أدلي إليك مما ورد عليك، مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق.

وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس، والتنكر عند الخصومة - أو الخصوم - (شك أبو عبيد) فإن القضاء في مواطن الحق، مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق، ولو على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله؛ فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه، وخزائن رحمته، والسلام عليك ورحمة الله»<sup>(١)</sup>.

وينبه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى إلى أصناف القضاة وأقسامهم

(١) أعلام الموقعين ١/ ٨٥، ٨٦ وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول.

فيقول: «والإنسانُ ظالمٌ جاهلٌ إلا من تاب الله عليه فصار عالماً عادلاً، صارَ الناسُ من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف: العالم الجائر والجاهل الظالم، فهذان من أهل النار، كما قال النبي ﷺ: (القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة: رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار)<sup>(١)</sup>؛ فهذان القسمان، كما قال: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)<sup>(٢)</sup> و: (من قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتوبوا مقعده من النار)<sup>(٣)</sup>. وكل من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولي ديوان أو منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط، فإن الصحابة كانوا يعدونه من الحكام، ولما كان الحكام مأمورين بالعدل وبالعلم، وكان المفروض إنما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي ﷺ: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)<sup>(٤)</sup> «<sup>(٥)</sup>أهـ.

(١) الطبراني في الكبير ٢/ ١٢٠ (١١٥٤) وصححه الألباني في الإرواء (٢٦١٤).

(٢) أبو داود (٣٦٥٢).

(٣) الترمذي (٢٩٥٠) وحسنه.

(٤) البخاري (٧٣٥٢)، مسلم (٧١٦).

(٥) شرح حديث «يا عبادي إني حرمت الظلم» ص ٥٢، ٥٣.

وينبه ابن القاص - رحمه الله تعالى - ويذكر القضاة بما عليهم من المسؤولية العظيمة فيقول: «إن من أحق الناس بالتأدب بآداب الله ومطالبة النفس بأحكام الله عز وجل ورعاية حقوقه من يُقلد الأحكام، وانتصب لفصل القضاء بين الأنام فاتقى أمر ربه، ويذكره وقوف الخصماء بين يديه مقامه مع الخصماء ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [٥٢] ﴿[غافر: ٥٢].

فأعدّ للمسألة جواباً؛ إن قيل له: عبدي مكنتك في بلادي، ونصبتك قاضياً بين عبادي، لتنصر المظلوم على الظالم، وتعلي الحق على الباطل، وأخذت عليك بذلك عهدي وميثاقي، وقدمت إليك إنذاراً بأن من لم يحكم بما أنزل الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤] ﴿[المائدة: ٤٤]، وقلت ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [١٥] ﴿[الجن: ١٥].. فرحم الله امرءاً ارتهب فرقاً، فشمّر للحق وأهله ناظراً ليوم تجد فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٣٠] ﴿ [آل عمران: ٣٠] أه» (١).

وبعد هذه المقدمة العجلى عن القضاء وعظيم خطره، وعن القاضي وخطورة دوره ومسؤوليته، أسوق بعضاً من صور الظلم التي نبه عليها



علماء السلف في القديم والحديث حتى يحذرها من ابتلي بالحكم بين الناس، ويقلع عنها من كان متلبساً بها. ومن أخطر هذه الصور مايلي:

١- الحكم بغير ما أنزل الله: وتعد هذه الصورة أشد أنواع الظلم الذي قد يقع فيه بعض القضاة، وقد تصل بصاحبها إلى الظلم الأعظم والعياذ بالله تعالى كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

والحاكم بغير ما أنزل الله تعالى على قسمين:

**الأول:** من يحكم بين الناس بلا علم بما أنزل الله عز وجل فيظلم نفسه، ويظلم المتحاكمين بين يديه بحكمه فيهما بغير ما أنزل الله، وهذا ظلم لا شك فيه، وفاعله آثم ومتوعد بالنار كما جاء في الحديث السابق: (القضاة ثلاثة - وذكر منهم - ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) وكونه يآثم بذلك لأنه حكم بلا علم فهلا تفقه قبل تصدده للقضاء؟ أو هلا سأل إذ جهل!؟

**الثاني:** أن يعلم حكم الله عز وجل فيتركه ويقضي بخلافه. وهذا القسم على ضربين أحدهما أخطر من الآخر:

**الضرب الأول:** من ترك الحكم بما أنزل الله عز وجل وحكم بغيره متعمداً في حالة معينة، مال فيها مع هواه؛ إما لقرابة أو رشوة أو منفعة يرجوها ولم يكن هذا الحكم نظاماً عاماً مسنوناً، والحاكم فيها خاضع لشرع الله تعالى وملتزم بأحكام الله تعالى ظاهراً وباطناً، وعلامة ذلك

شعوره بالإثم وأن ما فعله كان حراماً. فمثل هذا ظالم لنفسه ظالم للعباد وهو على إثم عظيم. لكن عمله هذا كفر دون كفر لا يخرج منه الملة. وعلى هذا يفسر قول من قال من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤].

[المائدة: ٤٤].

الضرب الثاني: وهو من يحكم بغير ما أنزل الله تعالى متعمداً مفضلاً له على حكم الله تعالى أو مساوياً بينه وبين حكم الله عز وجل أو مجوزاً لحكمه مع اعتقاده بأفضلية حكم الله تعالى فهذه كلها أعمال تخرج بصاحبها عن الملة وتوقعه في الظلم الأعظم المخرج من الملة<sup>(١)</sup> (وقد سبق توضيح ذلك في أول البحث).

وبقيت مسألة مهمة في هذا الضرب من الحكم تحتاج إلى تجلية وبيان؛ وذلك فيما يجري في المحاكم القانونية من الحكم بأحكام ملزمة مضادة لشرع الله عز وجل، وبيان الحكم فيمن قضى عالماً مختاراً بغير حكم الله عز وجل في مسألة ما بحكم عام مسنون لكل أحد لا يجوز لقاض أن يقضي بخلافه. وهذا الحكم مضاد لشرع الله عز وجل وحكمه، مع اعتقاده بأن حكم الله أفضل وأفضل، لكن المنصب وحب

(١) راجع رسالة (تحكيم القوانين) لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

الدنيا أغراه بهذا العمل، كما هو الحال عند أكثر قضاة المحاكم القانونية التي سُنت فيها قوانين عامة تناقض أحكام الله تعالى يحكم بها على كل أحد كتلك المادة الديوثية التي توجد في قوانين بعض الدول المنتسبة إلى الإسلام والتي تقضي بأن الزنا لا يعد جريمة يعاقب عليها إلا إذا كان بغير رضی المرأة أما إذا كان برضاها فلا شيء فيه!! فما حكم من يحكم بمثل هذه الأنظمة الكفرية متعمداً؟

يجيب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى على هذه المسألة في تحقيقه لمسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى في تعليقه على قول الرسول ﷺ: (فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) فيقول: «نرى في بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها، نقلت عن أوربة الوثنية الملحدة، وهي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، وذلك أمر واضح بدهي، لا يخالف فيه إلا من يغالط نفسه، ويجهل دينه أو يعاديه من حيث لا يشعر وهي في كثير من أحكامها أيضاً توافق التشريع الإسلامي، أو لاتنافيه على الأقل.

وإن العمل بها في بلاد المسلمين غير جائز، حتى فيما وافق التشريع الإسلامي، لأن من وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام أو مخالفتها، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوربة أو لمبادئها وقواعدها، وجعلها هي الأصل الذي يرجع إليه، فهو آثم مرتد بهذا،

سواء أوضع حكماً موافقاً للإسلام أو مخالفاً... والمثل: أنا نرى كثيراً من المسلمين الذين عهد إليهم بتنفيذ القوانين والقيام عليها، بالحكم بها، أو بالشرح لها، أو بالدفاع فيها، نراهم مسلمين فيما يتبين لنا من أمرهم، يصلون ويحرصون على الصلاة، ويصومون ويحرصون على الصوم، ويؤدون الزكاة ويجودون بالصدقات راضية نفوسهم مطمئنين، ويحجون كأحسن ما يحج الرجل المسلم، بل نرى بعضهم يكاد يحج هو وأهله في كل عام، ولن تستطيع أن تجد عليه مغمزاً في دينهم؛ خمر أو رقص أو فجور. وهم فيما يفعلون مسلمين مطمئنين إلى الإسلام، راضين معتقدين عن معرفة ويقين. لكنهم إذا مارسوا صناعتهم في القضاء أو التشريع أو الدفاع، لبستهم هذه القوانين، وجرت منهم كالشيطان مجرى الدم، فيتعصبون لها أشد العصبية، ويحرصون على تطبيق قواعدها والدفاع عنها، كأشد ما يحرص الرجل العاقل المؤمن الموقن بشيء يرى أنه هو الصواب ولا صواب غيره، وينسون إذ ذاك كل شيء يتعلق بالإسلام في هذا التشريع، إلا ما يخدع به بعضهم أنفسهم أن الفقه الإسلامي يصلح أن يكون مصدراً من مصادر التشريع! فيما لم يرد فيه نص في قوانينهم، ويحرصون كل الحرص على أن يكون تشريعهم، تبعاً لما صدر إليهم من أمر أورية في معاهدة منترو، مطابقاً لمبادئ التشريع الحديث، وكما قلت مراراً في مواضع من كتبي وكتاباتي: وتباً لمبادئ التشريع الحديث.

فهؤلاء الثلاثة الأنواع: المشرع والمدافع والحاكم، يجتمعون في بعض هذا المعنى ويفترقون، والمآل واحد. أما المشرع فإنه يضع هذه القوانين وهو يعتقد صحتها وصحة ما يعمل، فهذا أمره بين، وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم. وأما المدافع فإنه يدافع بالحق والباطل، فإذا ما دافع بالباطل المخالف للإسلام معتقداً صحته، فهو كزميله المشرع، وإن كان غير ذلك كان منافقاً خالصاً، مهما يعتذر بأنه يؤدي واجب الدفاع. وأما الحاكم فهو موضوع البحث وموضع المثل. فقد يكون له في نفسه عذر حين يحكم لما يوافق الإسلام من هذه القوانين، وإن كان التحقيق الدقيق لا يجعل لهذا العذر قيمة. أما حين يحكم بما ينافي الإسلام، مما نص عليه في الكتاب والسنة، ومما تدل عليه الدلائل منهما، فإنه، على اليقين، ممن يدخل في هذا الحديث: قد أمر بمعصية، القوانين التي يرى أن عليه واجباً أن يطيعها أمرته بمعصية، بل بما هو أشد من المعصية، أن يخالف كتاب الله وسنة رسوله، فلا سمع ولا طاعة، فإن سمع وأطاع كان عليه من الوزر ما كان على أمره الذي وضع هذه القوانين، وكان كمثلته سواء...»<sup>(١)</sup> أهـ.

كما يزيد هذه المسألة بياناً سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى في رسالته القيمة (تحكيم القوانين) وهو يعدد أنواع الحكم بغير ما أنزل الله المخرج من الملة فيقول: «الخامس: وهو أعظمها،

(١) مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٦/٣٠٣ - ٣٠٥ (باختصار).

وأشملها، وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعداداً، وإمداداً، وإرصاداً، وتأصيلاً، وتفريعاً، وتشكيلاً، وتنويعاً، وحكماً، وإلزاماً، ومراجع ومستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة، وغير ذلك . فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهياة مكملة، مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكماها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، فأى كفر فوق هذا الكفر، وأى مناقضة لشهادة أن محمد رسول الله بعد هذه المناقضة»<sup>(١)</sup> .

## ٢- أخذ الرشوة على القضاء :

وذلك سواء قضى القاضي بعدل أو بظلم، مع أن القضاء بظلم أحد الخصمين بسبب رشوته أشد لأنه جمع بين إثم الرشوة وإثم الظلم، والظلم إثم معروف، أما الرشوة فعن عبد الله بن عمرو روي عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( لعنة الله على الراشي

(١) فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ .



والمرتشي) (١)، قال الإمام البغوي: «الرشوة: ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل، فيعطي الراشي لينال باطلاً، أو ليمنع حقاً يلزمه ويأخذ الآخذ على أداء حق يلزمه، فلا يؤديه إلا برشوة [يأخذها]» (٢) أو على باطل يجب عليه تركه ولا يتركه إلا بها، فأما إذا أعطى المعطي ليتوصل به إلى حق، أو يدفع عن نفسه ظلماً، فلا بأس» (٣) أهـ.

ومما يلحق بالرشوة الهدايا التي يأخذها القاضي من أحد المتخاصمين؛ فعن عبد الله بن بريده عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من استعملناه على عمل، فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول) (٤).

والرشوة قد تكون مالاً أو منصباً أو أي منفعة عاجلة من منافع الدنيا الفانية. وقد استدلل بعض المفسرين على تحريم الرشوة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الإمام البغوي في شرح السنة: «أي لا تعطوها الحكام على سبيل الرشوة ليغيروا الحكم لكم... وقال الله سبحانه وتعالى:

(١) الترمذي. ك الأحكام (١٣٣٦) والبغوي في شرح السنة ٨٨/١٠ وقال عنه أنه حديث حسن.

(٢) في الأصل (يأخذ)، والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٣) شرح السنة للبغوي ٨٨/١٠.

(٤) رواه أبو داود (٢٩٤٣) وصححه محققا شرح السنة ٨٩/١٠.



﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [الأعراف: ١٦٩] ، أي يرتشون في الأحكام<sup>(١)</sup>، أه، من أجل ذلك جاء في ذكر أدب القضاة التحذير من أمور دقيقة قد لا يكون مقصودها الرشوة، ولكن ينبغي للقاضي الامتناع عنها سداً للذريعة؛ مثل التساهل في قبول الولايم ونحوها من الناس بعمامة ومن المتخاصمين بصفة خاصة. وهذه رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى إلى أحد القضاة في وقته ينصحه فيها بالامتناع عن ما ينقص قدر القضاة؛ قال رحمه الله تعالى: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد بلغنا أن عندك تساهلاً كثيراً في قبول العزائم وحضور الولايم، وهذا شيء لا ينبغي من مثلكم، ومثل ذلك يسبب الاستخفاف بقدر القاضي والقدح فيه في هذا الوقت الذي لا تخفى عليكم حالة الناس فيه.. فينبغي لكم النظر في أمركم ومراعاة ذلك والبعد عما يدخل عليكم أسباب القيل والقال وضعف مركزكم الشرعي، كما ينبغي العناية التامة بمن ولاكم الله أمرهم من النظر في أمورهم، والعدل بينهم في كل شيء، وبذل الوسع في كل ما يزيل الشغب والعداوات بينهم، ومخالقتهم بالخلق الحسن، مع احتفاظ القاضي بكرامته، الارتفاع عن كل ما يحط من قيمته أو يضعف من هيئته بين من ولاه الله أمرهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح السنة ١٠ / ٨٧.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢ / ٣٥١.

## ٣- الميل مع أحد الخصمين على الآخر :

وذلك إما لقربته أو وجاهته أو غناه أو سلطانه، سواء كان الميل في الحكم أو بالاستئناس لأحدهما دون الآخر أو إيثاره بشيء دون الآخر سواء في المجلس أو الكلام أو غير ذلك، كل ذلك يعد ظلماً . كيف لا وقد أمر الله عز وجل المؤمنين بالقسط والعدل حتى مع الأعداء والكفار، فقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] وقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]. وفي هذه الآية الكريمة تصريح بوجود العدل، ولو كان الحكم على النفس أو الوالدين والأقربين، وأن لا يميل الحكم مع أحد على حساب الحق، ولو كان الذي عليه الحق غنياً فيميل معه لغناه أو فقيراً فيميل معه شفقة عليه ورحمة.

وقد بلغت عظمة هذه الشريعة إلى أن تعدل مع الأعداء الألداء من الكفار ونحوهم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

وفيما يلي رسالة أخرى للشيخ محمد بن إبراهيم إلى أحد القضاة في عصره يحثه على العدل مع الكفار النصاري، وأن لا يميل مع المسلم على حساب الحق. قال فيها: «ولا تخفاكم النصوص الشرعية الطافحة بوجوب العدالة بين المتخاصمين حتى في اللسان والإشارة، وعدم رفع الصوت على أحدهما دون الآخر، ومن المعلوم أيضاً أن عدالة القضاء يتساوى فيها المسلم والكافر في حدود الواجب الشرعي، وما نص عليه العلماء رحمهم الله في باب (أدب القاضي) أعانكم الله، وسدد خطاكم، والسلام»<sup>(١)</sup>.

٤- التسرع في الحكم قبل تكامل البينات والشهود وكل ما يحتاجه الحكم بالعدل:

ومن ذلك بناء الحكم بمجرد الظنون والتهم التي ليس عليها دليل واضح بين. وهذا يقتضي السماع من جميع الأطراف وإعطاء الفرصة للمدعى بإيضاح البينات وملابساتها، وفي المقابل تعطى الفرصة الكاملة للمدعى عليهم للدفاع عن أنفسهم وإبطال ما يمكنهم إبطاله من التهم الموجهة إليهم، ومن الظلم البين إعطاء الفرصة والوقت الكافي لأحد الخصمين لإيضاح دعواه وحرمان الآخر منها أو إعمال الضغوط عليه لاختصارها واقتضابها، ولقد مر بنا وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢/٣٤٨.

لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيها: «آس الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك»<sup>(١)</sup>.

### ٥ - الإضرار بالمتحاكمين بتأخير البت في قضاياهم:

الإضرار بالناس المتحاكمين ومصالحهم - وذلك بتأخير البت فيها دون مبرر شرعي - يعد من الظلم الذي يجب على القاضي تجنبه.

وهذا يقتضي من القاضي العادل الحريص على مصالح العباد الحفاظ على وقته وملئه بالنظر في قضايا الناس وسرعة البت فيها، وعدم التسويف فيها أو ضرب المواعيد البعيدة التي قد تؤدي ببعض القضايا إلى أن يمر عليها الشهور والسنوات ولما تنته بعد. نعم قد تحتاج بعض القضايا إلى وقت طويل، لكن الحرص على الوقت الذي حدد للقاضي أن يمضيه في عمله القضائي، والشعور بما يعانيه الناس من المشاكل والمتاعب، والشعور بأمانة العمل وما يؤخذ عليه من الأجر كل ذلك من شأنه أن يخفف كثيراً من هذه المعاناة. وإذا كان الانشغال بمصالح المسلمين وما يرفع الحرج عنهم مقدماً على كثير من نوافل العبادة فكيف إذا كان الانشغال عن هذه المصالح العامة بغير ذلك.

(١) ارجع إلى نص الوصية ص ١٢٣، ١٢٤.

## ٦- الجور في إيقاع العقوبة:

وذلك على من ثبت عليه جناية ليس عليها حد معين، وإنما هي خاضعة لاجتهاد القاضي في تقديره التعزير المناسب لها، فمن الجور مثلاً إيقاع العقوبة الشديدة على جناية صغيرة كإيقاع عقوبة القتل مثلاً على اللطمة أو إيقاع السجن بالسنوات ذوات العدد على كلمة فيها سب أو شتم لمسلم، ونحو ذلك من العقوبات الجائرة. والغالب في مثل هذه العقوبات أنها تنشأ من غضب شديد عند القاضي يغضب فيه لنفسه أو لغيره أو يجاري فيها وجيهاً أو سلطاناً، وعادة ما تنطبع بطابع التشفي والانتقام ولذلك جاء النهي للقاضي أن يقضي وهو غضبان.

## الصورة السابعة: «ظلم أرباب الأعمال لعمالهم»

الإجارة جائزة بين المسلمين بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين. ولقد اقتضت حكمة أرحم الراحمين مشروعية الإجارة؛ لما فيها من المصالح العظيمة للعباد، ولما في تعطيلها من الضرر والخراب على الناس. ولكن الشارع الحكيم عندما أباحها لم يتركها لأهواء البشر، بل جعل لها ضوابط وشروطاً لا تصح إلا بها كما حذر مما يحصل فيها من الظلم والاعتداء على حقوق الناس. وأنواع الإجارة كثيرة، وسأقتصر هنا على استئجار الأجير في القيام بعمل محدد مقابل أجر محدد أو استئجاره بعمل يومي أو شهري مقابل أجر

محدد، وما أكثر ما يُظلم الأجراء والعمال في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأعمال والمؤسسات والشركات والمصانع، وكثر فيه الوافدون من العمال من شتى الأقطار، كما كثرت فيه شكاوى العمال من ظلم أصحاب الأعمال وامتألت مكاتب العمل والمحاكم الشرعية من هذه الشكاوى والمظالم.

وفيما يلي ذكر بعض المظالم التي يتعرض لها العمال من أصحاب العمل:

○ أكل أجره الأجير، كلها أو بعضها، أو المماثلة له بها وتأخيرها، وهذا من الظلم للأجير وذلك بأكل ماله بغير حق وبخيانته وعدم الوفاء له، بما تمت المعاقدة عليه.

وقد حذر الرسول ﷺ من هذا الظلم البين فقال: (قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعطِ أجره)<sup>(١)</sup> قال الحافظ في الفتح عند شرح الحديث: «قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين، إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح. والخصم يطلق على الواحد وعلى الاثنين وعلى أكثر من ذلك.

(١) البخاري. ك البيوع (٢٢٢٧).

( أعطى بي ثم غدر): على حذف المفعول والتقدير: أعطى يمينه بي أي عاهد عهداً وحلف عليه بالله ثم نقضه .

( باع حراً فأكل ثمنه): خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود .

قال المهلب: وإنما كان إثمه شديداً لأن المسلمين أكفاء في الحرية، فمن باع حراً فقد منعه التصرف فيما أباح الله له، وألزمه الذل الذي أنقذه الله منه .

( ورجل استأجر أجيراً): هو في معنى من باع حراً وأكل ثمنه لأنه استوفى منفعته بغير عوض، وكأنه أكلها لأنه استخدمه بغير أجره وكأنه استعبده. «<sup>(١)</sup> أهـ.

وقد يقع الظلم على الأجير دون تعمد المستأجر أكل حق الأجير، وإنما بتأول أو خشية غلبة الأجير له . وهذا ينشأ في العادة من عدم الاتفاق على قدر الأجرة، أو على تحديد العمل المطلوب، وفي هذا مخالفة شرعية . ويتخلف شرط أو أكثر من شروط الإجارة تنشأ الخلافات وتختلف التقديرات وتكثر التظلمات . وهذا كله عقوبة لمن لم يلتزم بأحكام الله عز وجل التي شرعها لعباده في معاملاتهم والتي تقضي على كل الخلافات وتسد بابها، وصدق من قال: لو أن الناس التزموا أحكام الله عز وجل التي شرعها فيما بينهم والتزموا بشروطها وضوابطها لأغلقت المحاكم أبوابها . وفي هذه المناسبة أنصح نفسي

(١) فتح الباري: ٤ / ٤١٧ .



وإخواني بلزوم شرع الله عز وجل حتى لا نختلف ونتظالم ويتهم بعضنا بعضاً بأكل الحقوق. ولو حصل واختلف أحدنا مع أخيه في تقدير الأجرة أو نوع العمل فلأن يخرج المسلم من هذه الدنيا مغلوباً مظلوماً خيراً له من أن يخرج منها غالباً ظالماً. وهذا كله مع المسلم العدل أما مع الكفار أو اللصوص والفساق المخادعين فلا ينبغي للمسلم أن يفرط في حقه، وينخدع لهم.

○ تكليف الأجير بأعمال أخرى لم تكن داخلة في عقد الاتفاق دون زيادة الأجرة، أو تكليفه بساعات زائدة على ما اتفق معه عليها بنفس الأجرة الأولى؛ كل ذلك من الظلم له وأكل حقه بغير حق.

○ تكليفه بما لا يطاق أو ما يغلب على الظن تضرره به وتعريضه للخطر، ولو كان ذلك برضى الأجير ووقوعه تحت ضغط العوز والحاجة.

○ ويلحق بالصورة السابقة من يكلف الأجير بعمل المنكرات أو حراستها وبيعها وشرائها مستغلاً في ذلك جهل الأجير وحاجته إلى المال أو ضعف الوازع الديني عنده، فيلحق بصاحب العمل إثم نفسه وإثم من كلفه بفعل المنكرات أو بيعها وحراستها من غير أن ينقص من إثم الأجير شيء.

ومن أمثلة ذلك: من يستخدم عماله في بيع المحرمات كالمجلات

الخليعة والتلفاز وأدوات البث المباشر والمعازف وغيرها. فذلك يظلم نفسه بنشر الفساد وكسب المال الحرام، ويظلم عماله بإيقاعهم في هذا الإثم، وتعاونهم معه في إشاعة الفساد بين عباد الله عز وجل.

○ سكوت صاحب العمل عن المخالفات والمنكرات التي يراها على عماله فلا يأمرهم ولا ينهاهم مع قدرته على ذلك. وقد يكون بعضها يقدح في التوحيد وأصل الإيمان وبعضها في أركان الإسلام، كترك الصلاة مثلاً. وقد يكون بعضها في الأخلاق والسلوك. والمقصود أن عدم المناصحة والدعوة للعمال من صاحب العمل يعد ظلماً لهم وخيانة وبخاصة إذا كانت مخالفات العمال عن جهل وتضليل.

○ عدم الوفاء ببند أو أكثر من بنود العقد الذي يبرم مع العامل؛ ففي ذلك غدر وخيانة وظلم من صاحب العمل لعماله، وقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] ويلحق بهذا ما يفعله بعض الجشعين من استقدام العامل من بلده وإبرام عقد صوري معه هنالك فإذا جاء للعمل لم يجد شيئاً مما وعد به، بل لم يجد عملاً البتة، وإنما يسرحه صاحب العمل مقابل مبلغ شهري أو سنوي يأخذه ظلماً.

○ الإساءة للأجير بسب أو لعن أو ضرب، والتعالي عليه واحتقاره والسخرية منه؛ كل ذلك من الظلم الذي نهى الله عز وجل عنه بين المؤمنين بعامّة.

وهذه الأخلاق الذميمة قد توجد من بعض أرباب العمل المتكبرين الذين يستغلون حاجة الأجير إليهم فيهيئونونه .

○ الاستناد إلى بعض البنود الجائرة في أنظمة العمل والعمال والمضادة لشرع الله عز وجل في الإضرار بالعامل أو حرمانه من بعض حقوقه أو غير ذلك .

○ عدم العدل مع العمال في التعامل دون سبب شرعي، أو الميل مع أحدهما دون الآخر عند الخصومات، حيث إن صاحب العمل أو من ينيبه يعد حاكماً بين العمال؛ فيلزمه تحري العدل، وتجنب الهوى، ونصرة المظلوم، والحيلولة بين الظالم وما يريد، والسماع من الطرفين في الخصومة قبل الحكم بينهما، كما يلحق بذلك وجوب التثبت مما يشاع حول أحد العمال من تقصير أو مخالفة شرعية أو غيرها. كما يجب العدل في إيقاع الجزاء بأن يكون مكافئاً لما وقع فيه العامل من مخالفة .

○ ومما يلحق بالعمال والأجراء ما كثر في زماننا اليوم من الخدم والخدامات والسائقين والمربيات الذين امتلأت بهم بيوت كثير من المسلمين، وظهرت صور من الظلم على هؤلاء المستخدمين ذكر كثير منها في الصور السابقة عند الحديث عن مظالم العمال، ونخصهم هنا بالصور التالية من صور الظلم لهم :

أ - استقدام الخدام بدون محرم . ففي هذا ظلم للنفس وظلم لهن بإعانتهم على هذه المعصية والمخالفة الشرعية . كما أن في ذلك

ظلماً لهم بتعريضهم للفتن والفواحش . كيف لا وقد اجتمع فيهن الجهل والبعد عن الوطن وانعدام المحرم .

ب- ترك تعليمهم دين الله عز وجل وتركهم في جهلهم المطبق بعبادة ربهم، ومعرفة أحكام الشرع الواجبة عليهم، وقد يكون الخادم كافراً فلا تبذل الأسباب لهدايته إلى الإسلام وانقاذه من الكفر فيجمع هذا الظالم بين إثم استقدامه لعامل كافر وبين تركه على كفره دون دعوته إلى الإسلام .

ج- القسوة عليهم والغلظة معهم بسب أو لعن أو ضرب أو تضيق في المعيشة أو السكنى أو تكليفهم ما لا يطيقون أو ما يعرضهم للخطر في أنفسهم أو عقولهم أو أعراضهم . ومن الظلم لهم أيضاً مجازاتهم على إساءتهم بأكثر مما وقعوا فيه من الإساءة .

فعن سويد بن مقرن رضي الله عنه قال : « لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله صلى الله عليه أن نعتقها»<sup>(١)</sup> .

وعن عائشة رضي الله عنها : « أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه فقال : يا رسول الله : إن لي مملوكين؛ يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٦٥٨) .

قال: ( يُحَسَبُ ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل).

قال: فتنحى الرجل، فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: (أما تقرأ كتاب الله): ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فقال الرجل: والله يا سول الله، ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا الأثر وإن كان في المملوكين فهو يصدق على المستخدمين أيضاً.

### الصورة الثامنة: «ظلم العمال لأرباب العمل»

بعد أن تبين لنا في الصورة السابقة بعض مظاهر الظلم الذي يتعرض له العمال من أصحاب العمل فلا بد في المقابل أن نتعرف على بعض صور الظلم التي يتعرض لها أرباب العمل من عمالهم وأجرائهم؛

(١) الترمذي / ك التفسير من سورة الأنبياء ٨ / ٣١٠ (٣١٦٣) وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

وذلك حتى لا يبرئ الأجير نفسه من الظلم بصفته هو الضعيف المحتاج، وبالتالي لا يتصور صدور الظلم عنه بزعمه .

ومن هذه المظاهر يلي :

○ عدم وفاء العامل بما اتفق عليه في العقد من العمل سواء بعدم إكمال العمل المطلوب أو عدم إكمال الوقت المطلوب للعمل أو التحايل على صاحب العمل في ذلك بالكذب أو انتحال الأعذار الواهية بل الكاذبة أحياناً . وهذا يحصل في العادة حال غياب صاحب العمل عن عمله فيغفل العامل الظالم عن رقابة الله عز وجل له فتحصل منه هذه المظالم لنفسه ولغيره .

○ عدم إتقان العامل لعمله المتفق عليه سواء كان في الأصل مجيداً للعمل المسند إليه لكنه غش فيه أو تهاون ولم يعطه حقه أو كان في الأصل غير مجيد للعمل وتظاهر أنه عارف به ومنتقن . كل ذلك من الظلم لصاحب العمل؛ وذلك بعدم الوفاء له بإنجاز ما أسند إليه مع أخذه للأجرة كاملة غير منقوصة .

○ تصرف العامل في ممتلكات صاحب العمل بغير إذنه كالسيارات والأدوات وغلة المزارع والماشية وغيرها، سواء تصرف بها لنفسه أو لغيره؛ لأنه لا يملك ذلك إلا بإذن صاحبها، وتصرفه هذا ظلم منه لصاحب العمل .

○ سرقة العامل من صاحب العمل شيئاً مما ائتمنه عليه من نقود أو أعيان؛ وهذا يكثر من العمال الذين لا يخافون يوم الحساب . وسواء كانت السرقة بشكل مباشر أو بصورة تحايل وخداع لصاحب العمل، كل ذلك سواء، وكل ذلك ظلم وعدوان، على ما في ذلك من ظلم العامل لنفسه ومن يعول بأكل الحرام ونبات الجسم على السحت .

○ إعانة العامل لصاحب العمل على فعل المنكرات أو بيعها وشرائها أو حراستها . كل ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، والعامل وصاحب العمل كلاهما ظالم بإعانة أحدهما للآخر على الإثم والعدوان؛ وذلك كالعامل عند صاحب العمل في صناعة آلات اللهو والمعازف وصيانتها أو بيعها، ومثل ذلك بيع وصيانة أجهزة الفساد كالتلفاز والبث المباشر، وكالعامل في البنوك الربوية، وكالعامل في محلات التصوير وتحميض الأفلام لذوات الأرواح، ومثله بيع المجلات والقصص الخليعة التي تنشر المجنون والفساد بين العباد . كل ذلك مما ينبغي للعامل تجنبه حتى لا يشترك مع صاحب العمل في ظلم الأمة في عقول أبنائها وأعراضهم وأموالهم . وحتى لا ينبت جسمه وأجسام من يعول على السحت والحرام .

○ السعي بالنميمة بين صاحب العمل والعاملين لديه أو بعض معارفه حتى يقع الشقاق بينهم، كما يلحق بذلك غيبة العامل لصاحب العمل عند بقية العمال وإشاعة التهم الكاذبة حتى تحدث



الفوضى في محيط العمل ويحصل النفور بين صاحب العمل وعماله مما يكون له الأثر السيء على سير العمل وانضباطه .

كما يدخل في هذا أيضاً قيام العامل بإفشاء أسرار صاحب العمل وما عنده من الأموال والأعمال مما لا يرضى صاحب العمل معرفة الناس لها، وهذا من خيانة الأمانة، وهو وماقبله يعد من ظلم العامل لصاحب العمل .

### الصورة التاسعة: «من ظلم التجار للأمة»

ويعنى بالتجار هنا أولئك الذين يستثمرون أموالهم وينمونها طلباً للربح والكسب؛ وذلك عن طريق البيع والشراء في المأكول أو الملبوس أو العقار والأثاث وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس أو يترفهون به .

والبيع في أصله حلال وطيب لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ولكن لما ظهر في زماننا اليوم من أنواع التجارات والبضائع المختلفة الشيء الكثير، ولما ظهرت أنواع من التعاملات والممارسات التي لم تكن تعرف من قبل في البيع والشراء، ولما خف الدين عند كثير من التجار وأصبح هم أحدهم الربح من أي طريق؛ فلا جرم ظهرت كثير من المخالفات الشرعية في محيط التجار والسماسة مما كان له الأثر السيء في ظلم الأمة في جوانب متعددة من حياتها. وفيما يلي ذكر بعض المظالم التي تتعرض لها الأمة من بعض تجارها ورجال الأعمال فيها:

### ○ ظلم الأمة في دينها :

ويظهر هذا بما يقوم به بعض التجار - هداهم الله - باستثمار أموالهم في بيع وشراء وطباعة وتوزيع الكتب والمجلات المضللة التي تنشر الإلحاد والبدع والشبهات مما يساعد في ترويج الشرك والبدع والعقائد الباطلة ويبعد الأمة عن منبعها الصافي المتمثل في الكتاب والسنة وفهم الصحابة رضي الله عنهم، وفي هذا ظلم للأمة وصد لها عن سبيل الله عز وجل. ومما يقدر في عقيدة الأمة أيضاً المتاجرة في تصوير ذوات الأرواح وتشكيلها بما يؤدي إلى تعظيمها وتعليقها في البيوت والمكاتب كصور العظماء، أو وضعها على الصدور كما هو الشأن في استيراد الملابس التي عليها صور الكافرين والفاستقين.

### ○ ظلم الأمة في نفوس أبنائها وعقولهم :

ويظهر هذا في ما يبيعه التجار ويروجونه مما له الأثر السيء على صحة الناس في أبدانهم وأنفسهم وعقولهم كمن يتاجر ببيع التبغ (الدخان) وبعض المخدرات والمفتريات والمشروبات التي يخالطها الكحول. كما يدخل في ذلك الاتجار في بعض المطاعم التي ثبت احتوائها على أجزاء من الخنزير أو ثبت أنها ميتة أو من مشتقات الميتة، وغير ذلك مما يضر بصحة الأجسام والعقول.

### ○ ظلم الأمة في أعراض أبنائها :

وما أكثر التجارات اليوم التي يعمل فيها كثير من التجار وهي تقتل الفضيلة وتنشر الرذيلة وتشيع الفاحشة في المسلمين، وكم يساهم هؤلاء التجار في إفساد أعراض الأمة ومحاربة الشريعة الإسلامية التي من مقاصدها حفظ الأعراض وحمايتها. ومن أمثلة هذه التجارات التي تساهم في هتك الأعراض وإفسادها:

\* التجارة في المجلات والقصص الخليعة طباعة وتوزيعاً ونشرها بين أبناء الأمة وبناتها وهي تحمل على غلافها وفي طياتها النجاسة والخبث والرذيلة سواء بما فيها من صور النساء الساقطات أو ما فيها من الأفكار المثيرة للشهوات.

\* ومنها التجارة في أجهزة الفساد من دشوش وتلفاز وأفلام الفيديو الخليعة، وأدوات المعازف واللهو والعبث، ومعلوم أثر هذه المفسدات في إثارة الغرائز والشهوات وهتك الأعراض، ويدخل في ذلك صنعها وبيعها وصيانتها والدعاية إليها.

\* التجارة في بيع الملبوسات والأزياء النسائية المحرمة والتي تصف البشرية أو تحجمها أو تشبها بالكافرات والذي من شأنه التبرج ونشر الفتنة. ويلحق بذلك الأماكن الخاصة بتزيين النساء، والله أعلم بما يدور بداخلها.

\* التجارة بإنشاء الملاهي المختلطة وإغراء الناس بالإتيان إليها رجالاً ونساءً. ولا يخفى أثر هذا على الأعراض ونشر الفتنة بين النساء والرجال.

\* التجارة بفتح المكاتب السياحية التي تسهل على الناس العزب منهم والعوائل السفر إلى بلاد الكفر والرذيلة كما تسهل عليهم زيارة الأماكن النجسة في تلك البلاد.

\* تأجير العقارات على من يستخدمها في الاتجار في المحرمات السابقة ففي هذا تعاون على الإثم والعدوان.

### ○ ظلم الأمة في اقتصادها وأموالها :

ويتبين ظلم التجار للناس في أموالهم من خلال الأمثلة التالية :

\* البيوع المحرمة التي يتعامل بها التجار مع الناس مما ينشأ عنه الظلم والبغي والخداع للمسلمين في أموالهم كبيع الغرر والجهالة والتدليس والغش والنجش وبيع المسلم على بيع أخيه... إلخ.

\* أخذ الفائدة الربوية على المحتاج للقرض من المسلمين سواء بطريق مباشر أو عن طريق التحايل كما في مسألة العينة، وما أكثرها اليوم بين تجار المسلمين.

\* المساهمة في تأسيس البنوك الربوية التي تظلم الناس بأخذ الربا

والفوائد عليهم أو تعينهم على أكل الحرام بإعطائهم الفوائد الربوية على أموالهم المودعة. كما يلحق بهذا من يؤجر عقاره للبنوك الربوية.

\* الوقوع في الطرق المحرمة لكسب المال كالقمار والميسر واليانصيب واختراع طرق جديدة لا تخرج عن هذه الوسائل المحرمة التي هي من باب أكل أموال الناس بالباطل والإثم والعدوان، كما هو الحاصل في أساليب الدعاية الكاذبة التي تبتز أموال الناس بالباطل.

\* حرمان الأمة الإسلامية من أموالها وإرسالها إلى بلاد الكفر ليرابوا بها ويستعينوا بها على المسلمين.

\* حرمان فقراء الأمة من زكاة الأموال الواجبة على التجار والبخل بإخراجها.

### الصورة العاشرة: «من ظلم الإعلاميين للأمة»

ويقصد بالأعلاميين في كل أمة أولئك الذين يساهمون في توجيه أفكار الأمة وسلوكها بالكلمة المقروءة أو المسموعة أو المرئية، ومن هؤلاء: الكتاب والناشرون والمذيعون والمخرجون والمؤسسون للإذاعة والتلفاز والمشرفون عليها والمنفذون لبرامجها، والمؤسسون للصحف والمجلات، والموظفون في مراقبة ما ينتج للأمة من أهل الإعلام فيها. كما يلحق هؤلاء المشرفون على المهرجانات الإعلامية والنوادي الأدبية ومن يسمون بأهل الفن والأدب.

ولنا أن نتصور الأجر العظيم الذي يناله هؤلاء فيما لو وجهوا جهودهم هذه في توعية الأمة بدينها وتهذيب أخلاقها وتربيتها علي الجد والجهاد، ومحاربة جهود الأعداء ومخططاتهم الرامية إلى إفساد الدين والأعراض والعقول والأموال كما لنا أن نتصور ذلك الظلم العظيم والوزر الكبير الذي يرتكبه الإعلاميون في حق أنفسهم وفي حق أمتهم المسلمة حين توجه الجهود إلى إفساد الأمة في ضرورياتها الخمس التي جاءت الشريعة للحفاظ عليها وحمايتها؛ ألا وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهذا - ويا للأسف - هو الحاصل في أكثر بلدان المسلمين اليوم، ويشترك مع الإعلاميين في الظلم كل من مكن لهم أو أعانهم، ومن فتح قلبه وبيته لتلقي ما يبث في وسائل الإعلام المختلفة من ضروب الشر والفساد.

وفيا يلي ذكر بعض هذه المظالم التي يرتكبها كثير من الإعلاميين اليوم في حق أمتهم:

○ المساهمة في إثارة الشبهات والشكوك حول الدين وأهله سواء كان ذلك عن طريق الكتاب المقروء أو الكلمة المسموعة أو المشهد المرئي في فيلم أو مسرح ويتبع ذلك الاستهزاء بالدين وأهله واستنقاص الشريعة أو الدعاية للنظم والأديان الباطلة وأهلها، وتحبيب ذلك للنفوس... إلخ كل ذلك من الظلم العظيم للأمة والإفساد لها في دينها، وهذا النوع من الظلم يلحق في الحقيقة بالظلم الأعظم المخرج

من الملة والذي سبق تفصيله في مبحث سابق لكن إعادته هنا جاءت لأن هؤلاء الظالمين من الإعلاميين قد تجاوز ظلمهم لأنفسهم بالظلم الأعظم إلى ظلمهم للناس بتضليلهم والتأثير عليهم بما يملكون من وسائل الإعلام والتأثير. ويلحق بذلك أيضاً المساهمة في ترويج البدع والعقائد الباطلة وكل ما من شأنه إبعاد الأمة عن منبعها الصافي المتمثل في الكتاب والسنة وفهم الصحابة رضي الله عنهم، كما يدخل في ذلك الدعوة إلى فصل الدين عن الحياة والترويج لمذهب العلمانية المنادي بذلك، كما يلحق بذلك ما يقوم به أهل الإعلام وخاصة في التلفاز والإذاعة من تناقض واضح يصل إلى حد العبث والاستهتار بالناس وجعلهم في صراع داخلي وازدواجية تشوه الدين وبخاصة في نفوس الناشئة، ومن أمثلة هذا الاستهتار والتناقض ما يعرضه التلفاز أو الإذاعة من البرامج المتعلقة بالأحكام الشرعية والحلال والحرام، ثم ما إن ينتهي هذا البرنامج حتى يعقبه مسلسل أو تمثيلية تعج بالمناظر المحرمة والسماع المحرم الذي سبق وأن بين تحريمه البرنامج الذي قبله.

إن جعل الأمة تعيش في مثل هذا الصراع والتناقض والترويض على عدم تعظيم حرمة الله عز وجل، إنه والله الظلم المبين والعبث المهين بدين الأمة ووقتها ومقدراتها.

○ مساهمة الإعلام في نشر الجريمة والاعتداء على الأنفس والأموال

بما يبثه من الأفلام البوليسية واللصوصية.



○ ومن ظلم الإعلاميين للأمة تقديمهم للساقطين والساقطات من مغنين ومغنيات وراقصين وراقصات على أنهم نخبة المجتمع وصفوته وإطلاق الألقاب الفخمة عليهم مثل النجوم، والأبطال، وتسليط الأضواء على حياتهم وسيرتهم الخاصة والعامّة مما ينعكس أثره على جهلة الأمة من شباب وشابات فيسعدوا إلى تقليد أولئك النجوم!! ويلاحقوا أخبارهم ويتلقوا عنهم، وإلا فما معنى ما ذكرته الصحف بعد موت عبد الحليم حافظ، ونزار قباني من الحزن عليهما، وتسويد الصفحات بسيرتهما العفنة، وهل هذا إلا نتيجة طبيعية لما يقوم به الإعلام من ربط الأمة بهذه الرموز الخبيثة وكأن ليس للأمة أبطالها الذين فتحوا الدنيا بنور الإسلام ونقلوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد<sup>(١)</sup>.

○ «التضليل الذي تتعرض له الأمة من بعض الإعلاميين من تزوير الحقائق وتلميع الباطل وأهله والاستخفاف بعقول الناس، ونقلهم للأخبار والتحليلات السياسية دون تمحيص أو تدقيق وإنما يرددونها كاللبغاوات كما وردت بصيغتها المخالفة لدين الأمة وعقيدتها، ولا يخفى ما في ذلك من تضليل وتلبيس وجعل الأمة تابعة لغيرها؛ تنظر بمنظار غيرها، وتفكر بعقول غيرها. كل ذلك من الإجرام والظلم في

(١) عن كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: ص ٩٨ ط ٢ (باختصار وتصرف).

حق الأمة»<sup>(١)</sup>.

○ «سقوط قيمة الكلمة وامتهان شرفها وقدسيتها وبيعها لمن يدفع أكثر واستعمالها في المديح والنفاق المدفوع الثمن في كثير من الصحف والمجلات التي تزخر بها بلاد المسلمين. وأصبحت الاتجاهات المختلفة اليوم تتحكم في ذلك النوع من الإعلام، فصديق اليوم قد يصبح عدو الغد مثلما أصبح عدو أمس صديق اليوم. إنها بعبارة أخرى صحافة بلا مبادئ، وإعلام لا يقوم على أسس أخلاقية»<sup>(٢)</sup>.

○ الظلم الذي يتعرض له المسلمون في أعراضهم؛ حيث تحولت أجهزة التلفزة في معظم ديار المسلمين إلى صالات عرض لبرامج الهدم ومسلسلات الإثارة التي تقضي على الفضيلة وتشيع الفاحشة بين المؤمنين، وذلك بما تطفح به من إظهار العورات، والخلوات المحرمة والحب والغرام.. إلخ في تحسين لذلك كله في أعين الشباب من الجنسين وإثارة للشهوات التي ترخص فيها الأعراض، ومثل ذلك ما تقوم به بعض الصحف والمجلات المتخصصة في الدعوة إلى الرذيلة بما ترسمه على صفحاتها حول الشواطئ والحفلات الراقصة المختلطة من

(١) عن كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: ص ٩٨ ط ٢ (باختصار

وتصرف).

(٢) المصدر السابق نفسه.

صور النساء الكاسيات العاريات التي تفسد الأخلاق وتجريء على هتك الأعراس، فهل يعي مَنْ وراء هذا العبث والفساد من الإعلاميين أيّ ظلم وعدوان يوقعونه بأعراض الأمة وأخلاقها؟

○ مساهمة الإعلام بنصيب وافر في جريمة الدعوة إلى ما يسمى (بتحرير المرأة) كما يزعمون، وذلك بعرضه ونشره لأنماط مختلفة من حياة المرأة الغربية وتلميعها لتبدو في أعين النساء المسلمات براقه زاهية. وتمجيده لتحرير المرأة من قيود دينها وأخلاقها عن طريق أبواب ثابتة وزوايا ومقالات وقصص وبرامج تستهدف جميعها جر المرأة المسلمة إلى تقليد غيرها في نزع حجابها وهجر بيتها والاختلاط بالرجال وتزيين ذلك لها وحثها عليه باسم «التطور» والتمدين والرقي والمساواة<sup>(١)</sup>.

○ مساهمة الإعلام في استباحته للغناء والمعازف والمزامير وشغل وقت الأمة به؛ فلا يكاد يخلو من الغناء والموسيقى برنامج ولا حديث ولا ندوة ولا لقاء مما يقدم في إذاعة أو تلفاز، فضلاً عن البرامج المتخصصة بكاملها في الغناء والعزف والموسيقى كما في برنامج (ما يطلبه المستمعون)؛ ذلك البرنامج الذي يعقد الصلات بين أبناء الأمة

(١) عن كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: ص ١٠٠ ط ٢ (بتصرف

وبين الساقطين فيها والساقطات من المغنين والمغنيات ويقويها ويزيدها رسوخاً حتى يصبحوا من متابعيهم وعاشقيهم<sup>(١)</sup>. ومعلوم ما في ذلك كله من الجرأة على محارم الله عز وجل وما فيه من إثارة الشهوات بالغناء والعزف وما يؤول من ذلك إلى نشر الفاحشة وفساد الأعراض.

○ مساهمة الإعلام في تبذير أموال الأمة ودفعها إلى ذلك بما يبثه من الإعلانات والدعايات الكاذبة المبهجة لكثير من المنتجات التجارية وغيرها بأسلوب يخدر العقول ويدفع الناس دفعاً إلى شرائها وملاء البيوت منها من غير حاجة إليها، ومن ظلم الإعلاميين للأمة في اقتصادها أيضاً دعايتهم للبنوك الربوية وبعض البيوع المحرمة، وحث الناس للمساهمة فيها وتزيين ذلك لهم.

### الصورة الحادية عشرة: «ظلم اليتيم»

اليتيم هو من مات أبوه وهو دون البلوغ والرشد واحتاج إلى الولاية عليه وعلى أمواله. وقد ورد في كتاب الله عز وجل في أكثر من آية الوصية باليتيم والإحسان إليه والحذر من ظلمه وأكل ماله بالباطل. وسأورد هذه الآيات إن شاء الله تعالى فيما يلي من مظاهر ظلم اليتيم من وليه:

○ الإساءة إلى اليتيم بسب أو شتم أو ضرب دون مبرر شرعي قال

(١) عن كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: ص ١٠٠ ط ٢ (باختصار).

الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [٩] الضحى: ٩، ويدخل في ذلك تكليفه بما لا يطاق واحتقاره والسخرية منه وسوء الظن به، وكل ما يسبب له الأذى الجسدي والنفسي؛ فكما أن هذه الممارسات محرمة مع كل مسلم فهي مع اليتيم أشد حرمة لضعفه ويطمه وفقده للسند الذي يدافع عنه.

○ أكل مال اليتيم الذي ورثه عن أبيه ظلماً وعدواناً؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] وقال عز وجل: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وقد عد الرسول ﷺ أكل مال اليتيم من السبع الموبقات<sup>(١)</sup>.

○ إعطاء اليتيم ماله له قبل بلوغه ورشده حيث سفاوته وضعف تدبيره مما يكون له الأثر الكبير في ضياع ماله وتبذيره أو إنفاقه بما يعود عليه بالضرر في الدنيا والآخرة؛ ولذلك جاء في الآية السابقة: ﴿فَإِنْ

(١) انظر نص الحديث عند البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم: (٦٨٥٧).

أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴿ [النساء: ٦] .

○ ترك اليتيم جاهلاً بدون تعليم له، وتركه لا يؤمر بطاعة الله عز وجل ولا ينهى عن معاصيه؛ إن تركه هكذا بلا تربية ولا تأديب ظلم له من وليه كما لو كان اليتيم ولدًا من أولاده .

### الصورة الثانية عشرة: «الظلم الواقع بين عامة الناس»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( أتدرون ما المفلس؟ ) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: صلى الله عليه وسلم ( إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار )<sup>(١)</sup> .

يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أبرز ما يحصل فيه الظلم بين العباد ألا وهو اعتداء بعضهم على بعض في بدن أو مال أو عرض، وما أكثر ما يحصل من هذه المظالم اليوم بين الناس، والموفق من وفقه الله عز وجل وخرج من هذه الدنيا سليم الظهر من دمائمهم، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، فسلمت له حسناته، وسلم ظهره من أوزار الناس ومظالمهم . ويدخل في هذه المظالم من باب

(١) رواه مسلم في البر والصلة ( ٢٥٨١ ) .

أولى: ظلم الناس في أديانهم.

والأمثلة لكل نوع من هذه المظالم كثيرة ومتنوعة جداً لا يتسع المقام لذكرها ولذا نكتفي بذكر بعض الأمثلة لكل نوع لتدل على ما سواها. والله المستعان.

### ○ أمثلة لظلم الناس في أديانهم:

أ- التسبب في إضلال المسلم عن دينه بشبهة توقعه في الكفر أو البدعة أو الفسق. فكل من ساهم في ذلك بقول أو كتابة أو رأي فعلية وزر هذا الضلال ووزر ظلمه لأخيه المسلم الذي تسبب في إضلاله قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

ب- التسبب في إضلال المسلم عن سلوكه وخلقته الإسلامي بشهوة تدفعه إلى الوقوع في الفواحش والمنكرات، سواء كان ذلك بالقول أو التزيين أو إبعاده عن مجالس الخير إلى مجالس السوء والفحشاء أو فتنته ببعض الصور والأفلام التي تثير الشهوة وتدفع إلى الفاحشة. وقد سبق ذكر هذه المظالم عند الحديث عن ظلم الإعلاميين والتجار حيث كان الحديث عن ظلم المؤسسات لكن الحديث هنا عن ظلم الأفراد بعضهم لبعض.

ج- الصد عن طريق الحق وتشويه صورة أهله حتى ينفر الناس



عنهم ويحرمون الخير الذي عندهم، ويسلمون لأهل الشر والفساد.

د- سكوت المسلم عن ما يراه من منكرات على أخيه المسلم ومداهنته ومجاملته دون نصح له وإرشاد. وأشنع من ذلك من يزين لأخيه فعلة المنكر ويقره عليه.

هـ- الفرح بضلال الناس في دينهم أو أخلاقهم - ولو لم يكن لهذا الظالم دور في الإضلال - فمجرد الفرح بالشر والفساد ظلم عظيم ومرض خطير من أمراض القلوب فكيف بمن ساهم في فتح باب من أبواب الشرفي أديان الناس.

### ○ أمثلة لظلم الناس في أبدانهم:

أ- تعمد قتل المعصوم دمه سواء كان ذلك مباشرة أو بطريق التسبب المقصود، أو بالإعانة أو الدلالة على قتله؛ كل ذلك من القتل العمد الذي يوقع فاعله تحت وعيد الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، مع ما يتعرض له من القصاص في الدنيا والآخرة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) (١).

(١) البخاري في الديات (٦٨٦٢).

ووقوع القتل العمد الصريح للمعصوم قد يكون قليلاً لكن الذي يقع كثيراً هو القتل العمد المتأول بشبهة أو غيرها، وهذا يكثر أيام الفتن والقتال بين طوائف المسلمين أعاذنا الله من ذلك، وهذا هو الذي حذره جماعة من السلف واعتزلوا فيه الطوائف المتقاتلة حذراً من قتل النفوس البريئة التي تتعلق بقاتليها يوم القيامة وعندها فأى كم من الحسنات يكفي لقصاص وإيفاء الحقوق؟!

ب- الاعتداء على نفس معصومة بضرب أو قطع عضو أو تجويع أو حبس أو أي نوع من أنواع التعذيب الجسدي والنفسي قال ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات... الحديث) <sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: ( من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة) <sup>(٢)</sup>.

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما، أنه مر بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت! فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج، وفي رواية. حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ، يقول: (إن الله

(١) مسلم رقم (٢١٢٨) في الجنة.

(٢) البخاري في الأدب المفرد (١٨٥). صحيح الجامع الصغير (٦٣٧٤).

يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) فدخل على الأمير، فحدثه، فأمر بهم فخلوا<sup>(١)</sup>.

ويدخل في ذلك: المباشر للتعذيب، والأمر به، والمعين عليه، والمشير به، والمتسبب فيه.

وقال ﷺ: ( لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)<sup>(٢)</sup>، فإذا كان هذا حال العجماوات فيما بينها فكيف الحال بما يقوم به اليوم طواغيت الأرض وأعوانهم من سجن وتعذيب وتشريد لصفوة عباد الله ودعاته المصلحين؟ إنه والله الظلم المبين، فما أتعس الظالمين وأشقاهم في الدنيا والآخرة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [٥٢] [غافر: ٥٢].

جـ القعود والتخاذل عن نصره المظلوم المعتدى عليه بقتل أو ضرب أو نحوه مع القدرة على ذلك؛ ففي هذا إعانة للظالم على ظلمه، وقعود عن نصره المظلوم. وقد قال الرسول ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦١٣).

(٢) مسلم رقم (٢٥٨٢) في البر والصلة. والشاة الجلحاء: الجماء التي لا قرن لها.

أفرايت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: (تجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) (١).

وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه... الحديث) (٢).

«وأوجب صور النصر ما يكون فيه دفع أذى من أمير أو ذي سلطان أو صاحب سطوة؛ لأن هؤلاء أذاهم شديد، وناصرهم قليل، والمتملقون لهم كثير، فيضيع الحق في غمرة الجاملات والمداراة. ورسول الله ﷺ يتبرأ ممن يعينهم على ظلمهم، ولا ينصرهم على أنفسهم وأهوائهم بردعهم عن الظلم، وقد جاء هذا المعنى في قوله ﷺ: (إنه ستكون بعدي أمراء، من صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس بوارد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وهو وارد عليّ الحوض) (٣).

وإذا كان منع ظلم الملوك بنصرة المستضعفين خُلُقاً يتجمل به غير المسلمين، فالمسلمون به أولى وأحرى، وقد وصف عمرو بن العاص

(١) البخاري. في الإكراه (٦٩٥٢) فتح الباري ١٢/٣٢٣.

(٢) البخاري: في المظالم (٢٤٤٢).

(٣) صحيح سنن النسائي (٣٩٢٣).

الروم بخصال استحسناها فيهم، فقال: (إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك) (١) «(٢)». فإذا كان القعود عن نصرة المظلوم يعد ظلماً وخذلاناً له فكيف بمن يعين الظلمة على ظلمهم ويسعى بالوشاية لإلحاق الأذى البدني والنفسي بالمسلم المعصوم. بل كيف بمن يعين قومه على ظلمهم عصبية؛ وقد قال الرسول ﷺ: (من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي في بئر فهو ينزع بذنبه) (٣).

د- القعود عن إنقاذ من يتعرض للهلاك كالغريق والحريق والجريح وتركه حتى يموت مع إمكانية إنقاذه.

هـ- ترويج المخدرات والخمور أو الإغراء بتناولها، ومعلوم ما في ذلك من الأضرار البدنية والعقلية.

و- التسبب في إيصال الأمراض للناس، أو حرمانهم من وسائل حفظ الصحة، أو الحيلولة بينهم وبين وسائل العلاج؛ مما قد يكون سبباً في انتشار الأوبئة والأمراض.

(١) مسلم في الفتن (٢٨٩٨).

(٢) عن كتاب: هذه أخلاقنا ص: ٦١.

(٣) أبو داود (٥١١٧) موقوفاً، ورواه أحمد ١/٣٩٣ مرفوعاً، وصححه

الألباني في صحيح الجامع (٦٥٧٥).

ويلحق بذلك الذي يتطبب في الناس بجهل أو شعوذة ونحوهما مما ينشأ عنه موت المريض أو استفحال مرضه. كما يدخل في ذلك أيضاً الطبيب المفرط في وسائل العلاج ووصف الدواء أو إجراء العمليات مما قد ينشأ عنه الموت أو إطالة مدة المرض.

ز- الإضرار بالمسلمين في منافعهم العامة كأماكن جلوسهم وطرقاتهم وظلمهم وميأهم سواء بمنعهم منها أو إفسادها عليهم.

### ○ أمثلة لظلم الناس في أعراضهم:

أ- الاستطالة باللسان عليهم بسب أو لعن أو كلام فاحش وسخرية واستهزاء؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١]، فسمى الله سبحانه من يأتي بهذه الأعمال بالظالمين. وقال الرسول ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده... الحديث) (١).

وأكثر ما يقع من السب والشتم وفاحش الكلام أثناء الخصومات حيث يغيب العقل ويحضر الهوى والشيطان، وحينئذ يقع الظلم

(١) البخاري في الإيمان (١٠) من حديث ابن عمرو، ومسلم في الإيمان

(٤١) من حديث جابر.

والعدوان . وقد عد الرسول ﷺ هذا من صفات المنافقين حيث ذكر منها: ( .. وإذا خاصم فجر )<sup>(١)</sup> .

ب- الغيبة والنميمة: ولا يخفى ما جاء في تحريمهما من النصوص الكثيرة، كما لا تخفى آثارهما السيئة في إشاعة البغضاء والأحقاد بين المسلمين، وما فيهما من تقطيع الأرحام وتفكيك الأسر . وكل هذا من الظلم الذي يتحمله من سعى بالغيبة والنميمة بين المسلمين، واستحل أعراضهم التي حرّمها الله عز وجل كحرمة الشهر الحرام في البلد الحرام، وأكثر ما يدفع إلى ذلك الحسد الذي هو من أظلم الظلم لعباد الله تعالى .

ج- الكذب على المسلمين أو إشاعة التهم الكاذبة حولهم دون تثبيت وتحري، ودون عدل وإنصاف . كما يلحق بهذا المثال من الظلم إساءة الظن بالمسلمين والتجسس عليهم؛ قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢] .

ويدخل في الكذب على المسلم إخلاف وعده وخيانتة والغدر به .

د- قذف المسلمين والمسلمات في أعراضهم بدون بينة شرعية .

(١) البخاري في الإيمان (٣٤)، ومسلم في الإيمان (٥٨) .



ومعلوم ما في هذا الظلم من الأذى والعار للمقذوف. ولذا شدد الله عز وجل في ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]. وقد عدها الرسول ﷺ من السبع الموبقات. وسواء كان القذف بجريمة الزنا أو اللواط، وسواء كان القذف تصريحاً أو تلميحاً.

هـ- ومن ظلم الناس في أعراضهم أيضاً الإسهام في كل ما من شأنه إشاعة الفاحشة بين الناس وهتك أعراضهم. وقد سبق ذلك عند الحديث عن دور الإعلاميين والتجار في ذلك، ولكن التركيز هنا على دور الفرد في ذلك، كالذي يُحضر إلى بيته وأهله أجهزة الفساد واللهو والغناء التي تسهل الفاحشة وتثير الشهوة في النفوس، وكمن يسعى لإهدائها وتسهيل الحصول عليها، وكذلك من يدل الشباب على المجالات والقصص الخليعة بل ويوفرها لهم عن طريق الإهداء أو غيره، ويدخل في ذلك من يدل غيره على أماكن الفحش والدعارة ويغريهم بالسفر إليها، وكذلك من يفسد على الناس نساءهم وبناتهم بواسطة الهاتف أو المراسلة ونحوهما.

كما يلحق بذلك من ينادي بترك الحجاب والدعوة إلى الاختلاط والخلوة بالنساء وغير ذلك مما يجرى على هتك الأعراض ونشر الفساد. كل ذلك من ظلم الناس في أعراضهم، وكل من تسبب في إشاعة

الفاحشة بين المؤمنين من قريب أو بعيد فإنه يبوء بإثمه وإثم من تسبب في غوايته وإفساده من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً؛ قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

ح- ومن أشد أنواع الظلم في الأعراض الاعتداء عليها بجريماتي الزنا واللواط أو مقدماتهما؛ وذلك لما فيهما من ظلم للنفس بالوقوع في هذه الكبيرة والفاحشة العظيمة، وما فيهما كذلك من الاعتداء على الأعراض وتدنيسها، والتسبب في إلحاق الأذى والعار، والمهانة والحزني للمعتدى عليه وعلى أهله.

ط- تبرج المرأة وإظهار زينتها للرجال يعد ظلماً لنفسها وظلماً لغيرها بما تقوم به من الفتنة ونشر الفساد وإشاعة الفاحشة.

### ○ أمثلة لظلم الناس في أموالهم:

أ- الاعتداء المباشر على أموال الناس سواء بسرقة أو إتلاف أو نهب أو بشكل غير مباشر عن طريق التحايل والخداع والخيانة، وسواء كان المسروق نقداً أو عيناً. ومما يلحق بهذا السرقة من الأموال العامة للمسلمين كبيت المال، والصدقات، وغنائم المجاهدين؛ قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظَلَمُونَ ﴿١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

وعن عدي بن عميرة الكندي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة) فقام رجل أسود من الأنصار، كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله اقبل عني عملك، قال: (وما لك؟) قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: (وأنا أقوله الآن: من استعملناه على عمل فليجيء بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى) (١).

\* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «كان على ثقل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل يقال له كركرة فمات، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هو في النار) فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها» (٢).

\* وعن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق؛ فلهم النار يوم القيامة) (٣).

\* وعن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: استعمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللببية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم،

(١) مسلم في الإمارة (١٨٣٣).

(٢) البخاري في الجهاد (٣٠٧٤).

(٣) البخاري في فرض الخس (٣١١٨).

وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي، أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً!! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر) ثم رفع يديه حتى روي بياض إبطينه فقال: (اللهم هل بلغت) (١).

ويدخل في هذا كل من استؤمن على مال لحفظه أو استثماره ثم خان صاحب المال أو اقتطع منه ما لا يحل له؛ سواء كان ذلك بالتحايل على صاحب المال وخداعه، أو بخيانتته والكذب عليه، أو بالتفريط والتقصير. وسواء كان هذا المال من الأموال الخاصة لأحد المسلمين، أو من الأموال العامة للمسلمين. فمن استؤمن عليها وتصرف فيها حسب هواه بغير حق فهو من الظالمين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ومن أشد هؤلاء أمانة الوكلاء على الأموال والنظر على الأوقاف.

ب- الاستيلاء على أموال المعصومين بالقوة والغصب، سواء كان

(١) البخاري في الحيل (٦٩٧٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٢).

ذلك المال عيناً أو نقداً؛ كما في حال قطاع الطرق والمحاربين أو بعض الولاة الظالمين الذين يقطعون من أموال الناس ما لا يحق لهم؛ كما في حال الضرائب والمكوس والعشور.

ومن أشهر حالات الغصب والاستيلاء بالقوة على مال المسلم المعصوم ما يحصل بين أهل العقارات والأراضي؛ حيث يأكل الرؤساء والأقوياء منهم الضعفاء، وتنتزع الأرض بعضها أو كلها أو تغير مناراتها ليزيد الظالم من أرضه وينقص من أرض جاره. وقد جاء الوعيد الشديد على من فعل ذلك فظلم عباد الله تعالى واعتدى على ممتلكاتهم وأموالهم. والنصوص في ذلك كثيرة منها:

\* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله بأربع كلمات (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض) <sup>(١)</sup>. ومنار الأرض هي المراسيم التي ترسم حدود الجار مع جاره، وتغييرها يعني تقديمها أو تأخيرها بحيث يزيد المغير من حدود أرضه وينقص من حدود جاره، وهذا من ظلم الأرض، وهو كما في الحديث يعد من الكبائر التي يستحق فاعلها اللعنة.

\* وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه - مرفوعاً: (من اقتطع شبراً من

(١) مسلم في الأضاحي (١٩٧٨).

(٢) البخاري في المظالم (٢٤٥٢) ١٠٣/٥، مسلم في المساقاة (١٦١٠).

الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين) (٢).

وقد روي هذا الحديث من طريق آخر عن محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدثه - وكان بينه وبين أناس خصومة في أرض - وأنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكر ذلك لها فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن رسول الله ﷺ قال: (من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين) (١).

ج- التسبب في قطع حق المسلم من مال أو غيره، إما بشهادة زور أو يمين كاذبة أو وجاهة أو حجة تكون ألحن من حجة صاحب الحق عند القاضي، مما يكون لها الأثر في حرمان صاحب الحق من حقه وإعطائه لخصمه الفاجر الظالم، والذي يكون عليه وبالاً في الدنيا والآخرة؛ فعن أبي أمامة الحارثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة) فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: (وإن قضيباً من أراك) (٢).

د- ومن ظلم الناس في أموالهم: أخذ الرشاوى من الناس ومنعهم حقوقهم أو تأخيرها حتى يدفعوا للمرتشي مالاً يعجل به حقوقهم

(١) البخاري في المظالم ٣/ ١٠٠، ومسلم في المساقاة (١٦١٢).

(٢) مسلم في الإيمان (١٣٧).

وهذا من أكل المال بالباطل والذي نهى الله سبحانه عباده المؤمنين عنه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، ومما يدخل في المال الباطل والذي يعد آخذه ظالماً مفترياً: المعاملات الربوية أو القمار والميسر؛ كل ذلك من الأموال المحرمة الباطلة، والتي من تعامل بها وجعلها من كسبه فهو ظالم معتد، ماله سحت، وكل جسد نبت على السحت فالنار أولى به. يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عند آية النساء السابقة: «نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل. أي: بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية، كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل» أهـ<sup>(١)</sup>.

وكل من ساهم في المعاملات المالية المحرمة - وأعظمها وأشدّها ظلماً الربا بأنواعه - فهو من الظالمين الآكلين للمال بالباطل يستوي في ذلك الفرد والمؤسسات الربوية العامة، وكل من ساهم فيها أو أسسها أو أذن لها؛ كل أولئك من المتعاونين على الإثم والعدوان.

هـ- ومما يدخل في ظلم الناس في أموالهم ويلحق بأكل المال بالباطل ما يقع بينهم من البيوع المحرمة التي يتضرر فيها أحد الطرفين المتبايعين وتنشأ على إثر ذلك الخصومات والإحن والمرافعات إلى القضاة؛ وما ذلك إلا من مخالفة أمر الله عز وجل وعدم الالتزام بحدوده

(١) تفسير ابن كثير عند الآية: (٢٩) من سورة النساء.



في البيع والشراء . والبيوع المحرمة كثيرة ومتنوعة من أشهرها :

\* الغرر والجهالة : وهو أن يتم البيع على شيء مجهول إما قدراً أو عيناً أو صفة كبيع الحصاة والملامسة والمنابذة وغيرها .

\* بيع ما لا يملكه البائع أو غير مقدور على تسليمه كطير في الهواء أو سمك في ماء .

\* الكذب في البيع والشراء : كأن توصف السلعة بما ليس فيها أو الكذب في قيمة شرائها بأكثر مما اشترت به .

\* النجش في البيع : وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها .

\* بيع الرجل على بيع أخيه أو شرائه على شراء أخيه : كأن يقول البائع لمن اشترى سلعة بثمان : أنا أعطيك مثلها بأقل منها أو أعطيك أطيب منها بثمانها ، ومثل أن يسوم شخص من إنسان سلعة فيرضى صاحبها بسومه ، فيأتي آخر ويزيد عليه ، وهذا خلاف المزاد العلني في الأسواق حيث لم يقر البائع أحداً من المشتريين على سومه ، ويلحق بذلك استئجار الرجل على استئجار أخيه .

\* الغش في البيع : وهو أن يخفي البائع عيب السلعة عن المشتري ؛ كمن يجعل الرديء في أسفل البضاعة والجيد في أعلاها . ومثل ذلك التدليس في البيع ؛ وهو أن يظهر حسن البيع ويزينه في الظاهر والحقيقة خلاف ذلك ، كبيع المصراة من الغنم ، وهي التي جمع

اللبن في ضرعها عدة أيام وباعها صاحبها على أنه لبن يوم واحد فقط .

والغش منتشر في كثير من البضائع كالسيارات والمواد الغذائية والثياب والأثاث وغيرها من السلع التي ينتفع بها الناس، كما يدخل في الغش البخس والتطفيف في المكيال والميزان . فمن فعل ذلك وما شابهه فهو غاش ظالم لنفسه وظالم لعباد الله تعالى، إن لم يتحلل منهم في الدنيا فسوف يكون القصاص منه حيث توضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً . والبيوع المحرمة التي يتظالم الناس فيها كثيرة أكتفي بالأمثلة السابقة لتدل على ما سواها .

و- كما يظهر الظلم بين الناس في الأموال عند أصحاب الشركات؛ حيث يشترك شخصان أو أكثر في استثمار أموالهما أو جهديهما ثم لا يفي أحدهما للآخر بما اتفقا عليه، أو يخدع أحدهما الآخر ويتحايل على أكل نصيبه أو غير ذلك من الظلم الذي يقع بين الشركاء . وما أكثر ما نسمع من المشاكل والاختلافات بين الشركاء وبخاصة في زماننا اليوم؛ إما لعدم كتابة عقد واضح يمنع الاختلافات، وإما لعدم الوفاء بالعقود فيما بينهم .

ز- كما يظهر الظلم في الأموال في المعاملات الأخرى كالإجارة والمساقاة والمزارعة وغيرها؛ وذلك بعدم التزام أحد الطرفين أو كلاهما لشروط المعاملة، أو بمخالفة بنود الاتفاق فيما بينهما أو غير ذلك مما

يكون سبباً للاختلاف وظلم أحد الطرفين للآخر.

وتفصيل ذلك في كتب الفقه التي تتحدث عن فقه المعاملات وضوابطها.

ح- ومن الظلم في الأموال إنكار المدين ما عليه من الدين لأخيه وجوده لذلك مع ثبوته في ذمته وعلمه بذلك؛ وفي هذا ظلم للدائن وأكل لماله بالباطل.

وقد لا ينكر المدين الدين لكنه يماطل ويسوف ولا يفي بوعوده في قضاء الدين مع أنه غني قادر، فهذا أيضاً من الظلم لقول الرسول ﷺ: (مطل الغني ظلم)<sup>(١)</sup>.

أما لو كان المدين معسراً لا يستطيع الوفاء فيجب على الدائن الغني إنظاره إلى ميسرة، ومن الظلم له إجباره على أن يستدين ليوفي دينه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ط- الظلم الواقع بين الناس في المظالم المشتركة التي يفرضها الوالي أو نائبه على أموال الناس ظلماً وعدواناً؛ وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى صفة المظالم المشتركة وكيف يقع الظلم بين الناس فيها فقال: «في المظالم المشتركة التي تطلب من الشركاء، مثل المشتركين في قرية

(١) البخاري في الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم في المساقاة (١٥٦٤).

أو مدينة إذا طلب منهم شيء يؤخذ على أموالهم أو رؤسهم مثل: الكلف السلطانية التي توضع عليهم كلهم؛ إما على عدد رؤوسهم، أو على عدد دوابهم، أو عدد أشجارهم، أو على قدر أموالهم. كما يؤخذ منهم أكثر من الزكوات الواجبة بالشرع، أو أكثر من الخراج الواجب بالشرع، أو تؤخذ منهم الكلف التي أحدثت في غير الأجناس الشرعية، كما يوضع على المتبايعين للطعام والثياب والدواب والفاكهة، وغير ذلك؛ يؤخذ منهم إذا باعوا، ويؤخذ ذلك تارة من البائعين، وتارة من المشترين... فهؤلاء المكروهون على أداء هذه الأموال عليهم لزوم العدل فيما يطلب منهم، وليس لبعضهم أن يظلم بعضاً فيما يطلب منهم، بل عليهم التزام العدل فيما يؤخذ منهم بغير حق... وحينئذ فهؤلاء المشتركون ليس لبعضهم أن يفعل ما به ظلم غيره، بل إما أن يؤدي قسطه فيكون عادلاً، وإما أن يؤدي زائداً على قسطه، فيعين شركاءه فيما أخذ منهم فيكون محسناً. وليس له أن يمتنع عن أداء قسطه من ذلك المال امتناعاً يؤخذ به قسطه من سائر الشركاء، فيتضاعف الظلم عليه، فإن المال إذا كان يؤخذ لا محالة، وامتنع بجاه أو رشوة أو غيرهما، كان ظلم من يؤخذ منه القسط الذي يخصه. وليس هذا بمنزلة من يدفع عن نفسه الظلم من غير ظلم لغيره، فإن هذا جائز، مثل أن يمتنع عن أداء ما يخصه فلا يؤخذ ذلك منه، ولا من غيره.

وهذا كالوظائف السلطانية التي توضع على القرى مثل أن يوضع

عليهم عشرة آلاف درهم، فيطلب من له جاه بإمارة، أو مشيخة، أو رشوة، أو غير ذلك، أن لا يؤخذ منه شيء، وهم لا بد لهم من أخذ جميع المال، وإذا فعل ذلك أخذ ما يخصه من سائر الشركاء، وبامتناعه من أداء ما ينوبه، يؤخذ من سائر الشركاء؛ فإن هذا ظلم منه لشركائه؛ لأن هذا لم يدفع الظلم عن نفسه إلا بظلم شركائه، وهذا لا يجوز. وليس له أن يقول: أنا لم أظلمهم، بل ظلمهم من أخذ منهم الحصتين، لأنه يقال:

أولاً: هذا الطالب قد يكون مأموراً من فوقه أن يأخذ ذلك المال، فلا يسقط عن بعضهم نصيبه إلا إذا أخذه من النصيب الآخر، فيكون أمره بأن لا يأخذ، أمراً بالظلم.

ثانياً: أنه لو فرض أنه الأمر الأعلى، فعليه أن يعدل بينهم فيما يطلبه منهم، وإن كان أصل الطلب ظلماً، فعليه أن يعدل في هذا الظلم، ولا يظلم فيه ظلماً ثانياً فيبقى ظلماً مكرراً؛ فإن الواحد منهم إذا كان قسطه مائة فطولب بمائتين، كان قد ظلم ظلماً مكرراً، بخلاف ما إذا أخذ من كل قسطه. ولأن النفوس ترضى بالعدل بينها في الحرمان، وفيما يؤخذ منها ظلماً، ولا ترضى بأن يخص بعضها بالعتاء، أو الإعفاء»<sup>(١)</sup> أهـ.

ي- ما يأخذه عمال الزكاة من أصحاب الأموال من مال زائد على الزكاة كرشوة وغيرها أو تعمد أخذ النفيس من كرائم

(١) المظالم المشتركة: تحقيق زهير شاويش ص ٢٢ - ٢٦ باختصار.

أموالهم من الزكاة . فإن في هذا ظلم من العاملين على الزكاة لقوله ﷺ : ( ... فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب )<sup>(١)</sup> .

ك- ما ظهر في هذا الزمان من وسائل الدعاية الكاذبة المزخرفة التي تدفع من لا رغبة عنده في الشراء إلى الشراء وتبذير الأموال . وبخاصة تلك الدعايات التي يضع فيها أصحابها المسابقات والجوائز المغرية التي تعد ضرباً من ضروب الميسر وأكل أموال الناس بالباطل .

### الصورة الثالثة عشرة: «ظلم الحيوان»

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] .  
 [الأنبياء: ١٠٧]، ومن العوالم الذين شملتهم رحمة هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ عالم الحيوان كما شملت عالم الإنسان والجان؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وفي الحديث عنه ﷺ قال : ( بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل فملاً خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في البهائم لأجر؟ فقال: في كل ذات

(١) البخاري في الزكاة (١٤٥٨)، ومسلم في الإيمان (١٩) .

كبد رطبة أجر) (١).

ومن أجل الرحمة بالحيوان حرمت الشريعة ظلمه والقسوة عليه وإجاعته، وأمرت بالرفق به. ومع ذلك فكم من الناس يقسو على الحيوان ويظلمه ولا يرفق به.

ومن صور الظلم للحيوان مايلي:

– ربطه أو حبسه بلا طعام ولا شراب، وتجويعه حتى الموت، وهذا مما توعد عليه بالنار، ويكفيينا في ذلك حديث الرسول ﷺ في صاحبة الهرة حيث قال ﷺ: ( دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ) (٢).

وليس بالضرورة أن يموت من الجوع بل لو قصر في النفقة عليه في الطعام والشراب حتى هزل وضعف فهذا أيضاً من الظلم له.

وقد قرر الفقهاء أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكة؛ فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه.

– القسوة عليه وإرهاقه بالعمل فوق ما يتحمل؛ فعن عبد الله بن جعفر قال: « أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثاً، لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب من استتر به رسول الله ﷺ

(١) البخاري في الشرب والمساقاة (٢٣٦٣) فتح الباري ٥ / ٥٠.

(٢) البخاري (٢٣٦٥). فتح الباري ٥ / ٥٠، مسلم في السلام (٢٢٤٢)

باب تحريم قتل الهرة.



لحاجته هدف أو حائش النخل، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح سراته إلى سنامه وذفراه، فسكن، فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فقال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه) (١).

– اللهو بصبر الحيوان وجعله غرضاً للرماية والعبث؛ لما فيه من تعذيب للحيوان والعبث بخلق الله تعالى.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (لا تتخذوا شيئاً فيه روح غرضاً) (٢).

وعن سعيد بن جبیر قال: «مر ابن عمر رضي الله عنهما بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا. فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً» (٣).

ومن واقعنا المعاصر في تعذيب الحيوان: مصارعة الثيران، والتلهي بسقوطها وهي تتضرج بدماؤها فما أشد ظلم الإنسان وقسوته.

(١) أبو داود (٢٥٤٩) انظر الأحاديث الصحيحة ١/ ٢٨.

(٢) مسلم في الصيد، باب النهي عن صبر البهائم (١٩٥٧).

(٣) مسلم في الصيد، باب النهي عن صبر البهائم (١٩٥١).

– التحريش بين الحيوانات والمهارة بينها؛ كالذي يفعله الإنسان الظالم في مهارة الديكة، وصراع الكباش، وتحريض الكلاب في عض بعضها البعض؛ وتستمر المصارعة حتى يجهد أحدهما الآخر أو ينتهي بقتله وهو مثخن بالجروح.

ويصف لنا الدكتور أحمد شلبي لقطة ارتسمت في ذهنة خلال زيارته لأندونيسيا يقول: «... وقد عشت فترة من حياتي في أندونيسيا، وكثيرون بها يهتمون اهتماماً كبيراً بصراع الديكة، ولقد رأيت صاحب الديك يعيش له، يؤثره على نفسه بالنظافة والطعام ويتطلع إليه في لهفة الأم بالنسبة لابنها، ومع هذا يسلمه للصراع مع ديك آخر، وقد رأيت كلاً من أصحاب الديكة المتصارعة يربط في قدم ديكه سلاحاً حاداً يساعد على الفتك بالديك الآخر، ثم ينطلق الطائر المسكين إلى حلبة الصراع التي أعدها الإنسان القاسي، ويحيط بهما النظارة للفرجة على هذا المنظر الأليم، وبعد جولة قصيرة يختر أحد الديكين صريعاً، وقد يختران معاً، يا لظلم الإنسان!!»<sup>(١)</sup>.

– تعذيب الحيوان بالضرب المبرح أو بالكي بالنار، وإذا كان هناك حاجة لوسمه بالنار لتمييزه عن الحيوانات الأخرى فإن الشارع الرحيم الحكيم نهى عن وسمه بالنار في وجهه.

(١) الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي ص ٢٣٨.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « رأى رسول الله ﷺ حماراً موسوم الوجه فانكر ذلك وقال: ( فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه ). وأمر بحماره فكوي في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين ﷺ »<sup>(١)</sup>.

– التفريق بين صغار الحيوان وأمهاتهم؛ إذا كان الصغير لا يستغني عن أمه في طعامه وشرابه. ويلحق بذلك قتل الحيوان الذي له صغار لا يستغنون عنه كأفراخ الطيور التي لا تطعم إلا بمناقير الأمهات. بل إن من رحمة الإسلام بالحيوان أن نهى أن يفجع الحيوان في صغاره ويفرق بينهم. ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمر فجعلت تَفْرُشُ، فجاء النبي ﷺ فقال: ( من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها ). ورأى قرية من نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن فقال: ( إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار ) »<sup>(٢)</sup>.

(١) مسلم (٢١١٨). ك. اللباس باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

(٢) أبو داود (٢٦٧٥) ك الجهاد. انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٣٣/١).

- عدم الرفق بالحيوان حال ذبحه، وتعذيبه بالذبح القاسي؛ كأن يذبح بسكين غير حادة أو يحد سكينه أمام الحيوان وقد ألقاه على جنبه وهو ينظر إليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: (أفلا قبل هذا؟! أتريد أن تميتها مرتين) <sup>(١)</sup>.

وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) <sup>(٢)</sup>.

- التسلي والتلهي بصيد الحيوان دون حاجة إلى أكله، وهذا يكثر عند المولعين بالصيد؛ حيث يقوم بعضهم بصيد المئات من العصافير والعشرات من الضببة ثم لا يأكلها بل يهملها، أو يأكل بعضها ويلقي ببعضها في النفايات، وما كان منها حياً فيترك للصبيان يعبثون به حتى يموت. ولا شك أن في هذا الصنيع ظلماً للحيوان فوق ما فيه من العبث والإسراف الذي نهى الله عز وجل عنه بقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

(١) الطبراني في الكبير ١١/٣٣٢ (١١٩١٦) وأورده الألباني في الصحيحة

. ٣٣/١

(٢) مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح.

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

وبعد هذه الجولة السريعة في بعض صور المظالم التي تكون بين عباد الله تعالى أود الإشارة إلى أن هذه الصور المذكورة آنفاً إن هي إلا أمثلة لأشهر ما يكون فيه الظلم بين العباد. وقد بقيت صور كثيرة تركتها مراعاة للاختصار. ولعل فيما ذكر دلالة على ما لم يذكر.

أسأل الله عز وجل أن يجنبنا الظلم بأنواعه كلها وأن يخرجنا من الدنيا سالمين من حقوق العباد خفيفين من تبعاتهم.

ويبقى في هذا المبحث سؤال مهم لا بد من الإجابة عليه ليعم النفع والفائدة، وليكون مخرجاً لمن أراد أن يتحلل من تبعات العباد قبل يوم الفصل والحساب. وهذا السؤال هو:

### هل من سبيل إلى التوبة من حقوق العباد؟

إن التوبة من الذنوب التي بين العبد وربّه ولا تتعلق بحقوق الخلق أمرها سهل، وهي أهون بكثير من تلك التي تتعلق بحقوق العباد؛ وذلك لأن حق الله عز وجل مبني على المسامحة، فإذا صدق العبد في توبته وحقق شروطها فالله عز وجل أفرح بتوبة عبده من ذلك الرجل الذي فقد راحلته وعليها زاده وشرابه حتى يئس وأيقن بالموت ثم وجدها، بينما حق المخلوق مبني على المشاحة وعدم المسامحة؛ فالتوبة منه أشق وأصعب، لكنها سهلة على من وفقه الله عز وجل لتدارك نفسه في الحياة الدنيا فزهد فيها ورزقه الله تعالى العزيمة القوية التي

ينتصر بها على حظوظ نفسه وبالتالي بادر فرد الحقوق إلى أهلها وتحلل من أصحابها قبل مباغته الأجل، ومن المعلوم أن التوبة من ظلم العباد لا بد فيها من شروط أربعة: الثلاثة الأولى منها توبة إلى الله عز وجل من مخالفته فيما نهى عنه من الظلم وهي:

١- الندم على ما قام به من ظلم واعتداء على حقوق الناس.

٢- التعهد بعدم العودة إليه.

٣- الإقلاع السريع عن هذا الظلم وعدم الاستمرار فيه.

٤- رد الحقوق والمظالم قديمها وحديثها إلى أهلها والتحلل منهم.

هذه مجمل الشروط المذكورة في كتب أهل العلم عن التوبة وأحكامها، والشرط الرابع منها هو الذي يحتاج إلى همة وعزيمة قوية للانتصار على النفس وحظوظها حتى ترد الحقوق إلى أهلها. ونظراً لأهميته وخطورة شأنه فلا بد فيه من مزيد إيضاح وتفصيل:

لقد مر بنا في الصور السابقة لأنواع الظلم أمثلة كثيرة من الظلم والعدوان كلها ترجع في جملتها إلى خمسة أنواع كبيرة:

١- ظلم الناس في دينهم.

٢- ظلمهم في أبدانهم

٣- ظلمهم في عقولهم.

٤- ظلمهم في أعراضهم.

٥- ظلمهم في أموالهم.

هذه الضروريات الخمسة التي جاءت الشريعة للحفاظ عليها وحمياتها من المعتدين والمفسدين هي التي يقع فيها الظلم بين الناس .  
ولذلك فلا بد في الحديث عن التوبة من حقوق العباد أن نتعرض لبعض هذه الضروريات وكيف تكون التوبة من ظلم العباد فيها وذلك فيما يلي :

### ١- التوبة من ظلم الناس في دينهم :

من كان له دور في إضلال الناس في عقيدتهم أو أخلاقهم فإن من توبته أن يقلع عن ضلاله وإضلاله، وأن يندم على فعله وإفساده للناس، ولكن توبته لا تتم حتى يبذل وسعه لإصلاح ما أفسد، وإعلان توبته للناس وأن ما كان عليه وما كان يقوله لهم إنما هو باطل وضلال، ويعلم براءته منه ثم يبين الحق للناس ويدعوهم إليه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] ،  
فبين سبحانه في هذه الآية أن من شروط توبة الكاتم للحق والداعي إلى الضلال الإصلاح وبيان الحق للناس .

ولا شك أن هذا من أشق الأمور على النفس ولكنه يسير على من أراد لنفسه النجاة من تبعات العباد وأوزارهم يوم القيامة . وأهل السير



يذكرون في هذا المقام توبة أبي الحسن الأشعري من بدعته التي كان عليها واعتنقها خلق كثير فما كان منه إلا أن تبرأ مما كان عليه وبين للناس أن الحق هو ما كان عليه أئمة السلف وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

قال صاحب وفيات الأعيان: «وكان أبو الحسن الأشعري أولاً معتزلياً، ثم تاب من القول بالعدل<sup>(١)</sup> وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ورقى كرسياً ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار وأن أفعال الشرأنا أفعالها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم»<sup>(٢)</sup> أهـ.

وتحدث عن نفسه وعن عقيدته في كتابه الإبانة فقال: «قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا ﷺ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث. ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نصر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثبتته قائلون، ولمن خالف

(١) العدل عند المعتزلة معناه: أن الله لا يخلق أفعال العباد، وهو أحد أصولهم الخمسة.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٥.

قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال ووضع به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيف الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخلييل معظم مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين»<sup>(١)</sup> أهـ.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة: بمحض اتباع السنة، ولا يكتفى منهم بذلك أيضاً حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة؛ إذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده. ولهذا شرط الله تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل الله من البيئات والهدى: البيان. لأن ذنبهم لما كان بالكتمان، كانت توبتهم منه بالبيان - ... ثم ذكر آية البقرة... وقال بعدها: وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم؛ لأن ذاك كتم الحق، وهذا كتمه ودعا إلى خلافه. فكل مبتدع كاتم ولا ينعكس»<sup>(٢)</sup> أهـ.

والحاصل أن من أضل الناس بكلمة مقروءة أو مسموعة أو مرئية في كتاب أو مجلة أو إذاعة أو تلفاز أو غير ذلك من وسائل النشر والإعلام؛ فإن من شروط توبته من ظلم العباد وأوزارهم أن يقلع عن فعله، وأن يعلن براءته مما كتبه أو قاله من الضلال، وأن يبين ما يضاده من الحق والإصلاح.

(١) الإبانة لأبي الحسن الأشعري: ص ٨.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٣.

فإن لم يفعل فليعد للسؤال جواباً، وليستعد لحمل أوزاره، وأوزار الذين أضلهم وأفسد عليهم دينهم وأخلاقهم، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً.

## ٢- التوبة من ظلم الناس في أبدانهم وأنفسهم:

وظلم الناس في أبدانهم وأنفسهم يكون بالاعتداء على نفس معصومة بالقتل أو الضرب أو السجن والتضييق.

والتوبة مما هو دون القتل أمر ممكن لإمكانية القصاص من الجاني، وإمكانية التحلل من المجني عليه وإرضائه بالقصاص أو غيره. فإذا تاب الجاني من ذنبه، واستغفر ربه، وسلم نفسه، ورضى المجني عليه بالقصاص أو ما دونه أو عفا عن الجاني فإن التوبة حينئذ قد كملت شروطها وبرئت ذمة الظالم من ظلمه لأخيه.

أما جريمة القتل فالتوبة فيها شاقة لموت المقتول حيث فاتت عليه نفسه ولم يستدرك ظلامته. ولكن لو أن القاتل سلم نفسه، فقتل قصاصاً هل يبقى عليه يوم القيامة للمقتول حق؟ يجيب على ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فيقول: «قالت طائفة: لا يبقى عليه شيء؛ لأن القصاص حده. والحدود كفارة لأهلها. وقد استوفى ورثة المقتول حق موروثهم، وهم قائمون مقامه في ذلك؛ فكأنه قد استوفاه بنفسه؛ إذا لا فرق بين استيفاء الرجل حقه بنفسه أو بنائبه ووكيله...»

... وقالت طائفة: المقتول قد ظلم. وفاتت عليه نفسه. ولم يستدرك ظلامته. والوارث إنما أدرك ثأر نفسه، وشفاء غيظه. وأي منفعة حصلت للمقتول بذلك؟ وأي ظلامة استوفاه من القاتل؟

قالوا: فالحقوق في القتل ثلاثة: حق لله، وحق للمقتول، وحق للوارث. فحق الله: لا يزول إلا بالتوبة. وحق الوارث قد استوفاه بالقتل. وهو مخير بين ثلاثة أشياء: بين القصاص، والعفو مجاناً، أو إلى مال. فلو أحله، أو أخذ منه مالا لم يسقط حق المقتول بذلك. فكذلك إذا اقتص منه. لأنه أحد الطرق الثلاثة في استيفاء حقه. فكيف يسقط حق المقتول بواحد منها دون الآخرين؟

قالوا: ولو قال القاتل: لا تقتلوه لأطالبه بحقي يوم القيامة. فقتلوه، أكان يسقط حقه ولم يسقطه؟ فإن قلت: يسقط. فباطل. لأنه لم يرض بإسقاطه. وإن قلت: لا يسقط. فكيف تسقطونه إذا اقتص منه، مع عدم العلم برضا المقتول بإسقاط حقه.

وهذه حجج كما ترى في القوة، لا تندفع إلا بأقوى منها أو بأمثالها.

فالصواب - والله أعلم - أن يقال: إذا تاب القاتل من حق الله، وسلم نفسه طوعاً إلى الوارث، ليستوفي منه حق موروثه: سقط عنه الحقان. ويبقى حق الموروث لا يضيعه الله. ويجعل من تمام مغفرته

للقاتل: تعويض المقتول؛ لأن مصيبته لم تنجبر بقتل قاتله. والتوبة النصوص تهدم ما قبلها. فيعوض هذا عن مظلمته، ولا يعاقب هذا لكمال توبته. وصار هذا كالكافر المحارب لله ولرسوله إذا قتل مسلماً في الصف. ثم أسلم وحسن إسلامه. فإن الله سبحانه يعوض هذا الشهيد المقتول، ويغفر للكافر بإسلامه؛ ولا يؤاخذ به بقتل المسلم ظلماً؛ فإن هدم التوبة لما قبلها كهدم الإسلام لما قبله.

وعلى هذا إذا سلم نفسه وانقاد، فعفا عنه الولي، وتاب القاتل توبة نصوحاً. فالله تعالى يقبل توبته، ويعوض المقتول.

فهذا الذي يمكن أن يصل إليه نظر العالم واجتهاده. والحكم بعد ذلك لله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٨)

[النمل: ٧٨] أه (١).

وبهذا التفصيل يظهر لنا عظم جرم الاعتداء على نفس معصومة بالقتل، وأن القصاص من الظالم ينتظره يوم القيامة حتى ولو اقتصر منه في الدنيا على أحد القولين، والقصاص يوم القيامة إنما يكون بأخذ الحسنات، وقد لا تفي الحسنات بالحق فيحمل القاتل من سيئات المقتول ما يكون سبباً في دخوله النار عياداً بالله تعالى.

(١) مدارج السالكين ١/٣٩٨، ٣٩٩.

أما ما دون القتل فإن حصل القصاص من الجاني أو عفا عنه المجني عليه وندم الجاني على فعله وتعهد بعدم العودة إلى ذلك فالتوبة حينئذ كاملة ومقبولة إن شاء الله تعالى. أما إذا لم يسلم الجاني نفسه ولم يقتص منه وتمنع من ذلك بجاه أو غيره فإن ذمته مشغولة والقصاص أمامه يوم القيامة، ويلحق بذلك من ظلم مسلماً بسجن أو تعذيب أو كان سبباً في ذلك ثم لم يتحلل من ظلمه فإن الحساب أمامه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. ففي هذه الآية تهديد للظالم وتسلية للمظلوم.

### ٣- التوبة من ظلم الناس في أعراضهم:

والتوبة من هذا الظلم تختلف حسب الصورة التي يظهر فيها:

- فإن كان الظلم بالنيل من أعراض الناس بالغيبة والنميمة والكذب والهمز واللمز ونحوها فإن التوبة لا تصح إلا بالتحلل منهم وطلب المسامحة منهم ما داموا على قيد الحياة، فإن أظهروا المسامحة وأباحوا من وقع في أعراضهم فقد برئت ذمته بشرط الندم وعدم الإصرار.

أما إذا تعذر التحلل منهم إما لموت أو خوف المفسدة التي تنجم عن إعلامهم بغيبتهم أو النميمة عليهم فإن أمر التوبة والحالة هذه

تكون صعبة، وإن كان هناك من أهل العلم من يرى أن الذمة تبرأ بالدعاء لهم والاستغفار وأن يثني عليهم في المواطن التي اغتابهم فيها. ومع ذلك فينبغي لمن ظلم العباد بالنيل من أعراضهم ولم يتمكن من التحلل منهم أن يكثر من الحسنات والقربات ليتمكن من الوفاء منها لهم يوم لا يكون الوفاء بدينار ولا بدرهم.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلب فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص، وكذلك إذا وجد تقصير في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان فعليه بالدعاء لهم والاستغفار» أه<sup>(١)</sup>.

– وإن كان ظلمه لهم بالقذف والتهم الباطلة في العرض فعليه التوبة والإصلاح كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤، ٥].

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في شروط توبة القاذف: «... ولذلك كان الصحيح من القولين: أن توبة القاذف: إكذابه نفسه

(١) مجموع الفتاوى: ١١ / ٦٩٨.



لأنه ضد الذنب الذي ارتكبه، وهتك به عرض المسلم المحصن، فلا تحصل التوبة منه إلا بإكذابه نفسه، لينتفي عن المقذوف العار الذي ألحقه به بالقذف . وهو مقصود التوبة . وأما من قال : إن توبته أن يقول : « أستغفر الله » من القذف، ويعترف بتحريمه : فقول ضعيف، لأن هذا لا مصلحة فيه للمقذوف . ولا يحصل له به براءة عرضه مما قذفه به . فلا يحصل به مقصود التوبة من هذا الذنب .

فإن فيه حقين : حقاً لله، وهو تحريم القذف، فتوبته منه : باستغفاره واعترافه بتحريم القذف وندمه عليه وعزمه على أن لا يعود .

وحقاً للعبد وهو إلحاق العار به فتوبته منه، بتكذيبه نفسه فالتوبة من هذا الذنب بمجموع الأمرين»<sup>(١)</sup> أهـ .

– وإن كان الظلم للناس في أعراضهم بإشاعة الفاحشة بينهم والإسهام في ذلك بكلمة أو كتاب أو فيلم أو غير ذلك من الوسائل التي تثير الشهوات وتسهل اختلاط الجنسين وتهون أمر الفاحشة أو مقدماتها، وقد سبق ذكر بعض الصور عند الحديث عن ظلم الإعلاميين للأمة . فتوبة هؤلاء إن كانوا صادقين لا تحصل إلا بندمهم على أفعالهم واعترافهم بتحريمها، وإقلاعهم السريع عنها، وعزمهم على أن لا يعودوا . هذا ما يتعلق بحق الله عز وجل في توبتهم من

(١) مدارج السالكين ١ / ٣٦٤ .

ذنوبهم، ويبقى حق العباد الذين أضلوهم وأفسدوا عليهم أخلاقهم وأعراضهم فلا تبرأ الذمة منها حتى يبذلوا الجهد المستطاع في إصلاح ما أفسدوا، وتبرأوا من أفعالهم، ويبينوا للناس أنها باطلة وفسادة، وأن لا يفتروا عن الإصلاح وبذل النصح للأمة كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل: ١١]، وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

#### ٤- التوبة من ظلم الناس في أموالهم:

الأصل في التوبة من حقوق الناس المالية أن ترد الحقوق إلى أهلها في الحياة الدنيا سواء ما أخذ بطريق السرقة أو النهب والاحتتيال أو الغش والتدليس أو الغصب والغلول والرشوة.. إلخ، فإذا ندم الظالم لحقوق الناس على ظلمه وعقد العزم على أن لا يعود وأوقف ظلمه وأقلع عنه ثم رد الأموال المسروقة أو المغصوبة إلى أهلها فقد برئت ذمته وقبلت توبته إن شاء الله تعالى. ولكن ماذا يفعل من غصب أموالاً أو أخذها بغير حقها ثم ندم وتاب، لكنه تعذر عليه ردها إلى أصحابها أو إلى ورثتهم لجهله بهم أو لموتهم وانقراضهم أو لغير ذلك؟ ويجيب على ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فيقول: «اختلف في توبة مثل هذا: فقالت طائفة: لا توبة له إلا بأداء هذه المظالم إلى أربابها.

فإذا كان ذلك قد تعذر عليه، فقد تعذرت عليه التوبة، والقصاص أمامه يوم القيامة بالحسنات والسيئات ليس إلا.

قالوا: فإن هذا حق لآدمي لم يصل إليه. والله سبحانه لا يترك من حقوق عباده شيئاً. بل يستوفيها لبعضهم من بعض، ولا يجاوزه ظلم ظالم. فلا بد أن يأخذ للمظلوم حقه من ظالمه، ولو لطمه، ولو كلمة، ولو رمية بحجر.

قالوا: وأقرب ما لهذا في تدارك الفارط منه: أن يكثر من الحسنات، ليتمكن من الوفاء منها يوم لا يكون الوفاء بدينار ولا بدرهم، فيتجر تجارة يمكنه الوفاء منها. ومن أنفع ما له: الصبر على ظلم غيره له وأذاه، وغيبته وقذفه. فلا يستوفي حقه في الدنيا. ولا يقابله ليحيل خصمه عليه إذا أفلس من حسناته، فإنه كما يؤخذ منه ما عليه يستوفي أيضاً ما له. وقد يتساويان. وقد يزيد أحدهما عن الآخر.

ثم اختلف هؤلاء في حكم ما بيده من الأموال.

فقال طائفة: يوقف أمرها. ولا يتصرف فيها البتة.

وقالت طائفة: يدفعها إلى الإمام أو نائبه؛ لأنه وكيل أربابها.

فيحفظها لهم. ويكون حكمها حكم الأموال الضائعة.

وقالت طائفة أخرى: بل باب التوب مفتوح لهذا. ولم يغلقه الله عنه، ولا عن مذنب. وتوبته: أن يتصدق بتلك الأموال عن أربابها. فإذا كان يوم استيفاء الحقوق، كان لهم الخيار، بين أن يجيزوا ما فعل، وتكون أجورها لهم، وبين أن لا يجيزوا، ويأخذوا من حسناته بقدر أموالهم. ويكون ثواب تلك الصدقة له. إذ لا يبطل الله سبحانه ثوابه، ولا يجمع لأربابها بين العوض والمعوض. فيغرمه إياها. ويجعل أجرها لهم، وقد غرم من حسناته بقدرها)»<sup>(١)</sup> أهـ.

\* \* \*

## القسم الثالث

### ظلم النفس بمعاص دون الشرك وليس للعباد فيها حق

وهذا النوع من الظلم هو ما يقع فيه العبد من الذنوب التي ثبت بالدليل الشرعي أنها مخالفة لما أمر الله تعالى به أو ما نهى عنه، فيما دون الشرك الأكبر وفيما بين العبد وربّه وليس فيها للخلق تعلق. ويعد هذا النوع من الظلم أهون الأنواع السابقة فيما لو مات منها بلا توبة؛ حيث إن الظلم الأعظم الذي هو الشرك بالله لا يغفر إلا بتوبة قبل الموت، ومظالم العبد لا بد في التوبة منها أن ترد الحقوق إلى أهلها قبل الموت، بينما هذا النوع من الظلم إن كان من الصغائر فإنها تكفرها الصلاة والصيام والمصائب ما اجتنبت الكبائر.

أما الكبائر فصاحبها تحت المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه وأدخله الجنة بعد ذلك، وإن شاء غفر له ودخل الجنة بلا عذاب. وهذا لا يعني الاستهانة بهذا النوع من ظلم النفس؛ فصاحبه على خطر لو مات بلا توبة منه؛ فما يدري العاصي هل يغفر الله له ذنبه أو يدخله النار مع الداخلين، وقد تجتمع على قلبه حتى تؤدي به إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

ومعصية الله عز وجل إما إن تكون بترك واجب أو فعل محرم، وهي

تنقسم إلى: صغائر وكبائر؛ كما قرر ذلك أهل العلم، ونقل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى إجماعهم على ذلك فقال:

«و «الذنوب» تنقسم إلى صغائر وكبائر؛ بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف وبالاعتبار؛ قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر) <sup>(١)</sup> «أهـ» <sup>(٢)</sup>.

ولكن ما هو الفرق بين الصغائر والكبائر؟

نقل الدكتور محمد الوهبي كلام أهل العلم في ذلك في كتابه: (نواقض الإيمان الاعتقادية) وانتهى إلى اختيار القول السادس فقال حفظه الله تعالى: «ومن أشهر التعريفات ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم: أن الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، وقال ابن

(١) مسلم. ك الطهارة. باب فضل الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة

. ٢٠٩/١

(٢) مدارج السالكين ١/٣١٥.

الصلاح: لها أمارات منها: إيجاب الحد، ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً، ومنها اللعن، وقال الماوردي من الشافعية: الكبيرة ما وجبت فيه الحدود أو توجه إليها الوعيد، وورد مثل ذلك عن الإمام أحمد فيما نقله القاضي أبو يعلى ورجحه القرطبي وابن تيمية والذهبي وغيرهم.

ولعل هذا التعريف أشمل التعاريف وأقربها للصواب لعدة اعتبارات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية من أهمها:

١- أنه يشمل كل ما ثبت في النصوص أنه كبيرة كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة، ويشمل أيضاً ما ورد فيه الوعيد كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور، ويشمل كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة، وما قيل فيه: من فعله فليس منا، وما ورد من نفي الإيمان عن من ارتكبه كقوله ﷺ: ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. ) إِنْخ؛ فكل من نفى الله عنه الإيمان والجنة أو كونه من المؤمنين فهو من أهل الكبائر، لأن هذا النفي لا يكون لتترك مستحب، ولا لفعل صغيرة، بل لفعل كبيرة.

٢- أنه مأثور عن السلف من الصحابة والتابعين بخلاف غيره.



٣- أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الصغائر والكبائر بخلاف

غيره .

٤- أن الله تعالى قال: ﴿إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنته أو ما يقتضي ذلك، فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتنب الكبائر، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد، لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر. إذا لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه، والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه» أهـ<sup>(١)</sup>.

من هذا التعريف الشامل للكبائر يتضح معنى الصغائر أيضاً وهي ما سوى الكبائر. كما يظهر لنا من الفرق أن ظلم العباد الذي سبق بحثه فيما سبق يشمل أيضاً هذا المعنى حيث أن ظلم العباد أيضاً صغائر وكبائر. وأكبر الكبائر الشرك بالله عز وجل.

ولكن لما كان الكلام هنا عن ظلم النفس بما دون الشرك فيما بينها وبين الله عز وجل فسنقتصر على ذكر بعض الأمثلة لهذا النوع من الظلم حيث قد سبق الكلام عن صور الظلم لأنواع الأخرى. ولكن

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية ٢/ ١١١، ١١٢.

قبل ذكر هذه الأمثلة أنقل كلاماً نفيساً للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ينبه فيه على معنى لطيف في الكبيرة والصغيرة يقول رحمه الله تعالى: «وها هنا أمر ينبغي التفطن له؛ وهو أن «الكبيرة» قد يقترن بها - من الحياء، والخوف، والاستعظام لها - ما يلحقها بالصغائر. وقد يقترن بالصغيرة - من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وترك الخوف، والاستهانة بها - ما يلحقها بالكبائر. بل يجعلها في أعلى رتبها.

وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب. وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه ومن غيره.

وأيضاً فإنه يُعفى للمحب، ولصاحب الإحسان العظيم، ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح به غيره»<sup>(١)</sup> أهـ.

والذنوب التي يظلم العبد فيها نفسه فيما بينه وبين ربه عز وجل كثيرة ومتنوعة، فما كان منها صغائر فإن الله عز وجل يكفرها بالصلاة والصيام والحج إذا اجتنبت الكبائر كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

أما الكبائر فلا بد فيها من التوبة الصادقة قبل الموت أو يكون صاحبها تحت المشيئة يوم القيامة؛ وسأقتصر فيما يلي على بعض

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٢٨.

الأمثلة للمعاصي الكبيرة التي يظلم العبد فيها نفسه فيما بينه وبين ربه لتدل على ما سواها:

١- معصية الرياء: وهي إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها. قال ﷺ: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال)؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) (١).  
وكم يظلم العبد نفسه بهذه المعصية بما يضيع عليه من الأقوال والأعمال الصالحة التي لا يريد منها وجه الله عز وجل، فتكون هباءً منثوراً يوم يكون في أشد الحاجة يوم القيامة إلى حسنة واحدة. بل إن صاحبه معرض لسخط الله عز وجل وعدم مغفرته تعالى لهذا الذنب العظيم لو مات صاحبه منه بلا توبة على قول بعض العلماء. ويلحق بذلك العجب والكبر وتزكية النفس.

- التلبس ببدعة غير مكفرة: إذ أن البدعة المكفرة تلتحق بالظلم الأعظم، أما ما دون الكفر فتلتحق بالمخالفات التي يظلم فيها العبد نفسه بتركه للسنة وركوبه البدعة التي يعرض فيها نفسه لرد عمله وعدم قبول الله تعالى له، لقول الرسول ﷺ: (كل عمل ليس عليه

(١) رواه أحمد (٣/٣٠)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٠٤)، قال الشيخ شاكر في تعليقه على المسند (١١٢٧٢) إسناده حسن.

أمرنا فهو رد) (١) .

وقد يكون صاحب هذه البدعة من الداعين إليها والناشرين لها بين الناس فيصبح بذلك ظالماً لنفسه وظالماً لعباد الله تعالى بما يفسده في أديانهم من البدعة والضلالة .

ومن أشهر البدع المنتشرة في هذا الزمان: بدع الخوارج، والمرجئة والمعتزلة العقلانيين، والأشاعرة، وبدع المتصوفة التي لم تصل إلى حد الكفر. فهؤلاء كلهم قد ظلموا أنفسهم بتركهم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وظلموا أنفسهم بتعريض أعمالهم للرد وعدم القبول، وإن هم دعوا إلى بدعهم فقد ظلموا العباد وتحملوا أوزارهم من غير أن ينقص من أوزار من اتبعهم شيء .

٣- أكل أو شرب ما حرم الله عز وجل من المطاعم والمشروبات؛ كأكل الميتة وما في حكمها، أو أكل ما حرم الله عز وجل أكله من السباع والطيور، أو شرب ما حرم الله تعالى شربه من المسكرات والمخدرات أو النجاسات وغيرها؛ كل ذلك من معصية الله عز وجل التي يظلم فيها العبد نفسه ويعرضها لسخط الله عز وجل ومقته . وقد تؤدي بعض هذه المخالفات إلى الاعتداء على الناس في أعراضهم أو أبدانهم أو

---

(١) مسلم في الأقضية (١٨ تحت ١٧١٨)، وعلقه البخاري في البيوع والاعتصام .

أموالهم كما يفعله شارب الخمر - عند ذهاب عقله - من الممارسات الصبائية والجنونية. وحينئذ يجمع بين ظلمه لنفسه وظلمه لعباد الله تعالى بالعدوان عليهم.

٤- ترك ما أوجب الله عز وجل على العبد من الواجبات العينية كأداء الصلاة في جماعة، وصيام شهر رمضان، والزكاة، والحج على خلاف بين العلماء في كفر تارك أحد المباني الأربعة من مباني الإسلام تكاسلاً.

٥- سماع الغناء والموسيقى والمعازف، ورؤية ما حرم الله عز وجل من صور النساء في أفلام المجون والخلاعة.

٦- النياحة على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب وفعل ما يدل على الجزع والتسخط لقضاء الله وقدره، وهذا يكثر عند النساء ضعيفات العقل والدين وهن يظلمن أنفسهن أولاً بوقوعهن في ما نهى الرسول ﷺ عنه وثانياً بتفويت أجر المصيبة على أنفسهن بعدم صبرهن فيجمعن بين مصيبتين.

٧- لبس الذهب والحريير للرجال، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٨- تصوير ذوات الأرواح أو اقتنائها من غير حاجة. وتشتد الحرمة بتعليقها وتعظيمها.

وأكتفي بهذه الأمثلة السريعة من المخالفات التي يعد مرتكبها ظالماً لنفسه ومعرضاً إياها لسخط الله تعالى لتدل على ما سواها من المخالفات، ولما كان مثل هذه المخالفات ليس فيها ظلم لعباد الله تعالى، فإن مرتكبها لو مات منها بلا توبة فإنه تحت المشيعة: إن شاء الله تعالى غفر له وهياً له الأسباب<sup>(١)</sup> التي تزول بها عقوبة الذنب عن صاحبه، وإن شاء عذبه عذاباً يطهره به ويطيبه لدخول الجنة؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا طيباً؛ قال تعالى: ﴿طَبِّئْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

[الزمر: ٧٣].

أما لو تاب صاحب هذه المخالفات توبة صادقة قبل موته فإن الله عز وجل غفور رحيم وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً.

### مسألة:

بعد أن تبين لنا أقسام الظلم الثلاثة، وبعد ذكر بعض الأمثلة والصور لكل قسم يجدر التنبيه هنا إلى أن بعض الذنوب لا تختص بقسم واحد من أقسام الظلم وإنما قد تنطوي على نوعين أو ثلاثة منه؛ كمن يجمع في ذنب واحد بين الشرك بالله سبحانه والذي هو أعظم الظلم وبين ظلمه للناس وظلمه لنفسه، أو بين ظلمه للناس وظلمه لنفسه؛ وذلك كله في ذنب واحد كما يشير إلى ذلك شيخ الإسلام

(١) ارجع إلى ص ٤٤ - ٤٦ لمعرفة هذه الأسباب فهي مذكورة هناك.

رحمه الله تعالى بقوله: «ولهذا كانت الذنوب ثلاثة أقسام: أحدها: ما فيه ظلم للناس كالظلم بأخذ الأموال ومنع الحقوق والحسد ونحو ذلك.

والثاني: ما فيه ظلم للنفس فقط: كشرب الخمر والزنا إذا لم يتعد ضررهما.

والثالث: ما يجتمع فيه الأمران: مثل أن يأخذ المتولي أموال الناس يزني بها، ويشرب بها الخمر»<sup>(١)</sup> أهـ.

ويتحدث الإمام بن القيم رحمه الله تعالى عن حرمة مسألة الناس من غير حاجة فيقول: «المسألة في الأصل حرام، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة؛ لأنه ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق المسؤول، وظلم في حق السائل، أما الأول: فلأنه بذل سؤاله وفقره وذله، واستعطاءه لغير الله، وذلك نوع عبودية، فوضع المسألة في غير موضعها، وأنزلها بغير أهلها، وظلم توحيدته وإخلاصه وفقره إلى الله، وتوكله عليه، ورضاه بقسمه، واستغنى بسؤال الناس عن مسألة رب الناس، وذلك كله يهضم حق التوحيد ويبطل نوره ويضعف قوته، وأما ظلمه للمسؤول: فلأنه سأل ما ليس عنده فأوجب له بسؤاله عليه حقاً لم يكن له عليه، وعرضه لمشقة البذل أو لوم المنع، فإن أعطاه أعطاه على

(١) مجموع الفتاوى ٢٨ / ١٤٥.



كراهة وإن منعه منعه على استحياء وإغماض، هذا إذا سأله ما ليس عليه، وأما إذا سأله حقاً هو له عنده فلم يدخل في ذلك، ولم يظلمه بسؤاله .

وأما ظلمه لنفسه : فإنه أراق ماء وجهه، وذل لغير خالقه، وأنزل نفسه أدنى المنزلتين ورضي لها بأبخس الحالتين، ورضي بإسقاط شرف نفسه، وعزة تعففه، وراحة قناعته، وباع صبره ورضاه وتوكله وقناعته بما قسم له، واستغناءه عن الناس بسؤالهم، وهذا عين ظلمه لنفسه، إذ وضعها في غير موضعها... ولولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع<sup>(١)</sup> أهـ.

\* \* \*

(١) مدارج السالكين ٢/٢٣٢، ٢٣٣. (باختصار).

## المبحث الثالث

### ذكر بعض آثار الظلم وعواقبه السيئة

الظلم ظلمات على أصحابه في الدنيا والآخرة، وهو بؤس وشقاء وعناء على أهله في الدنيا وعذاب ونكال في الآخرة. وما من مصيبة ولا عقوبة تقع في الدنيا على مستوى الفرد أو الأمة إلا وسببها الظلم والعدوان؛ سواء كان ذلك الظلم هو الإشراف بالله عز وجل الذي هو أعظم الظلم، أو ظلم النفوس بما دون ذلك من المعاصي والمنكرات، أو ظلم العباد بعضهم بعضاً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وأسوق فيما يلي بعض آثار الظلم وعواقبه السيئة في الدنيا والآخرة:

#### أولاً: الآثار الدنيوية:

أ- في أجواء الظلم لا يهنأ الناس بعيشهم ولا يأمنون على أنفسهم

ولا على عقولهم ولا على أعراضهم وأموالهم. بل ينتشر الخوف على هذه الضروريات الأساسية في حياة الإنسان، والتاريخ والواقع شاهدان على ذلك؛ فما من أمة ينتشر فيها الظلم من الشرك فما دونه إلا ويختل أمنها ويسود الخوف أهلها.

وهذا بمصداق قول الله تعالى وهو يقص علينا محاجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢] فأخبر سبحانه أن أحق الناس بالأمن أولئك الذين لم يخلطوا إيمانهم بظلم. هذا، وإن كان المراد بالظلم هنا الشرك الأكبر فإننا نستفيد منه أن أسعد الناس بالأمن والطمأنينة هو من كمل التوحيد وحققه، وبقدر ما ينقص من توحيد العبد ينقص ذلك من أمنه؛ حتى إذا ساد الشرك والمعاصي والمظالم في أمة من الأمم فإنها تفقد أمنها ويدب فيها الخوف والجوع كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، ولا يغرنا ويخدعنا ما نسمع عنه من أمن كاذب في الدول الكافرة والمجتمعات الظالمة، فإن هو إلا أمن زائف تكذبه الإحصائيات المذهلة عن ما يحصل من ظلم وعدوان على الأنفس والأعراض والأموال. وقد لا يشعر بذلك من عاش بينهم فترة وجيزة، لكن العبرة بكلام القوم أنفسهم وصيحات الخطر التي ينادي بها بعضهم.

ثم لنفرض أن هناك أمناً ظاهراً منشؤه بعض القوانين والأنظمة، فهل هي وحدها التي تفرض الأمن؟ والجواب لا وألف لا، فما لم يكن هناك خوف من الله عز وجل منشؤه الإيمان والتوحيد الذي يستقر في أعماق القلب والذي يصاحب الإنسان في ليله ونهاره وسره وعلانيته فإنه لا أمن ولا استقرار؛ لأن الخائف من القانون وحده يصبح وحشاً كاسراً إذا أمن جانب القانون.

وإن المتأمل اليوم في حياة المجتمعات الإسلامية في أكثر بلدان المسلمين ليكاد يقطع بصعوبة ذوقها للأمن في ضرورياتها الأساسية وهو يرى أسباب المخاوف وانعدام الأمن منتشرة في البر والبحر. إذ كيف يأمن الشخص على دينه وسلامته معتقده وهو يرى ويسمع من وسائل الإعلام ما يثير الشبهات التي تضطرب لها القلوب الضعيفة؟ وكيف يأمن الإنسان على دينه ونفسه وعرضه وماله وهو يرى أكثر المجتمعات الإسلامية لا يحكمها شرع الله عز وجل الذي في ظله يسود الأمن والطمأنينة وإنما تحكمها أنظمة البشر الظالمة التي تجرأ فيها المجرمون على الأنفس بالقتل والاعتداء، وفي ظلها تنتشر الخمر والمخدرات التي تفسد العقول وتحطم النفوس؟

بل كيف يأمن الإنسان على عرضه ومكر الليل والنهار لا يفتر يبث الفساد ويشيع الفاحشة ويسهل طريقها ويثير الشهوات ويفتح أبوابها؟ وحتى لو أغلق المسلم بابه ورفض هذه الوسائل المفسدة، فإن

غبارها ودخانها يصل إليه شاء أم أبى .

وكيف يأمن على ماله من عزّ في وقته المال الحلال حيث انتشرت البيوع المحرمة ، وتنوعت أبواب الربا وأشكاله وصار له بنوكه وأنظمته وحماته ، وانتشرت أبواب الحيل والخداع لكسب المال الحرام ، وأصبح صاحب المال والعقار يخشى على ماله من المغتصبين والسراق ، والمتحايلين والذين يكثرون ويظهرون في غيبة شرع الله العادل ، وذلك حين ينتشر الظلم والبغي والفساد في الأمة ؟ .

ب- في أجواء الظلم والظالمين تنعقد أسباب العقوبة من الله عز وجل ويصبح الناس مهددين بما أصاب أشياعهم من الظالمين الغابرين ؛ لأن سنة الله عز وجل لا تحابي أحداً ، وليس بين الله سبحانه وبين أحد من خلقه نسب إلا طاعته ؛ قال الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٤٣] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ٥١]

[القمر: ٥١] .

وليس بالضرورة أن يكون العذاب والعقاب كالذي حل بقوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح والذين من بعدهم من الظالمين . بل قد يظهر

في صور أخرى كالذي يحصل اليوم في المجتمعات الظالمة من القحط والجذب، ومن المجاعات والحروب، ومن تسلط الأعداء وقهرهم، ومن الفرقة والاختلاف وكون بأس المسلمين بينهم... إلخ.

وكل هذا من آثار الظلم والبغي الذي ينتشر اليوم ولا يجد من يرفعه ويمنعه ويأخذ على أيدي الظالمين العابثين. وقد يمتد العقاب والعناء فيتجاوز الظالمين إلى غيرهم من الصالحين الساكتين.

قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأُتَصِّينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٢٥] ﴿٢٥﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [١١٧] ﴿١١٧﴾. وتأمل قوله تعالى: ﴿مُصْلِحُونَ﴾ ولم يقل: صالحون. فرتب إهلاك القرى على خلوها من المصلحين. وهنا ندرك خير وبركة المصلحين على مجتمعاتهم وكيف أنهم صمام الأمان لأمتهم في تأخير العذاب أو منعه - بإذن الله تعالى - . فاللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أولياؤك، ويذل فيه أعداؤك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر. إنك سميع الدعاء.

ج- شؤم الظلم على فاعله في نفسه وأهله وماله ولو بقي ردحاً من الزمن في عافية ظاهرة، لكنه في الحقيقة يعيش في تعاسة وشقاء لا يذوق طعم السعادة والبركة، بل إنهما لتنزعان من حياته. وهذا أمر مشاهد ومحسوس، ثم إن المتعة الظاهرة لا تستمر طويلاً فلقد جرت

سنة الله عز وجل في أخذ الظالم وعدم إفلاته قال ﷺ : (إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) (١). مع ما يحاط به الظالم من مشاعر الكراهية والعداء من الناس وتمنيهم زواله ودعائهم عليه، فأبي هنا وراحة بعد ذلك للظالمين؟! والأحداث والوقائع والقصص في نهاية الظالمين دولاً وأفراداً ومحقق بركة أعمالهم وأموالهم كثيرة في القديم والحديث ولكن هل من مدكر؟!!

ذكر ابن قتيبة الدينوري في كتابه «تأويل مختلف الحديث»، أنه حدثه رجال من أصحاب الأخبار، أن المنصور سمر ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم، وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين، فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره: قصد الشهوات، وإتيان اللذات، والدخول في معاصي الله عز وجل ومساخطه، جهلاً منهم باستدراج الله تعالى، وأمناً من مكره، فسلبهم الله الملك والعز، ونقل عنهم النعمة فقال له صالح بن علي: يا أمير المؤمنين، إن عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هارباً فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر، فركب إثر عبيد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه، وأزعجه عن بلده. فإن رأى أمير

(١) البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣). وقد



المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك .

قال : فأمر المنصور بإحضاره، وسأله عن القصة، فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي فافترضته بها وأقمت ثلاثاً، فأتاني ملك النوبة، وقد خبز أمرنا، فدخل علي رجل طوال أقتنى حسن الوجه، فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب، فقلت : ما يمنعك أن تقعد علي ثيابنا؟ فقال : إني ملك، وحق علي كل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل إذ رفعه الله، ثم أقبل علي فقال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم؟ فقلت : اجترأ علي ذلك عبيدنا وسفهاؤنا، قال : فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا، قال : فلم تلبسون الديباج والحريير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم؟ فقلت : زال عنا الملك وقل أنصارنا، فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا ، فلبسوا ذلك علي الكره منا .

فأطرق ملياً، وجعل يقلب يده وينكت في الأرض، ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم، وركبتم ما نُهيتم عنه، وظلمتم فيما ملكتم، فسلبكم الله تعالى العز، وألبسكم الذل بذنوبكم، والله فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها، وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وإنما الضيافة ثلاث، فتزودوا ما

احتجتم إليه، وارتحلوا عن بلدي. ففعلت ذلك<sup>(١)</sup>.

- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن ملكاً من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخفٍ من الناس، فنزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك البقرة فحلبت، فإذا حلابها مقدار ثلاثين بقرة. قال: فأعجب الملك بها وقال: ما صلحت هذه إلا أن تكون لي، فإذا صرت إلى موضعي بعثت إليه فأخذتها.

قال: وأقام إلى الغد، فغدت البقرة إلى مرعاها. ثم راحت فحلبت فإذا حلابها في نقص على النصف، وجاء حلاب خمس عشرة بقرة قال: فدعا الملك ربها فقال له: هل رعت في غير مرعاها بالأمس أو شربت في غير مشربها بالأمس؟ قال: ما رعت في غير مرعاها ولا شربت في غير مشربها، قال: فما بال لبنها قد نقص؟ قال: يشبه أن يكون الملك قد همَّ بأخذها، فقال له الملك: وأنت من أين يعرفك الملك؟ فقال له: هو كما أقول لك، فإن الملك إذا ظلم أو همَّ بظلم ذهب البركة، أو قال: ارتفعت البركة.

قال: فعاهد الملك ربه في نفسه ألا يأخذها ولا تكون له في ملك أبداً، قال: فأقام إلى الغد، ثم غدت البقرة إلى مرعاها وراحت فحلبت، فإذا حلابها قد عاد إلى ما كان، قال: فدعا صاحبها فقال له:

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٠١ - ٣٠٣.

هل رعت بقرتك في غير مرعاها بالأمس أو شربت في غير مشربها بالأمس؟ قال: ما رعت في غير مرعاها ولا شربت في غير مشربها. قال: فما بال لبناها قد عاد؟ قال يشبه أن يكون الملك قد همَّ بالعدل قال: فاعتبر الملك وقال: لا جرم، لأعدلن ولأكونن على أفضل من ذلك أو نحو هذا (١).

د- حينما ينتشر الظلم بين أفراد الأمة فيعتدي بعضهم على بعض في الأبدان والأعراض والأموال ويكثر ذلك ولا يوجد من ينكره ويدفعه فإن سنة الله عز وجل جرت أن يسלט على الأمة من يسومهم سوء العذاب من الولاة الظلمة الذين يبغون على الناس ويفرضون عليهم الكلف السلطانية والأنظمة التي تلحق بالناس العنت والضيق عليهم في أنفسهم وأموالهم وقبل ذلك في أديانهم، وما ذاك إلا عقوبة للناس على ظلمهم، فيسلط الله عز وجل الظالمين على الظالمين. وهذه سنة الله عز وجل؛ قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: «ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك نفعل بالظالمين، نسلط بعضهم على بعض، ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم

(١) مساوى الأخلاق للخرايطي ص: ٢٨٩.

من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم»<sup>(١)</sup>.

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى أيضاً عند هذه الآية: «... وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر. ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم، وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم...»<sup>(٢)</sup>.

وللإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلام جيد حول هذا المعنى حيث يقول: «... وهذا أيضاً باب عظيم من حكمة الله يطّلع الناظر فيه على أسرار من أسرار التقدير، وتسليط العالم بعضهم على بعض، وتمكين الجناة والبُغاة. فسبحان من له في كل شيء حكمة بالغة وآية باهرة، حتى أن الحيوانات العادية على الناس في أموالهم وأرزاقهم وأبدانهم تعيش في خفارة ما كسبت أيديهم، ولولا ذلك لم يسلط عليهم منها شيء. ولعلّ هذا الفصل الاستطرادي أنفع لمتأمله من كثير من الفصول المتقدمة، فإنه إذا أعطاه حقه من النظر والفكر عظم انتفاعه به جداً، والله الموفق.

(١) تفسير ابن كثير عند الآية رقم (١٢٩) من سورة الأنعام.

(٢) القرطبي عند الآية رقم (١٢٩) من سورة الأنعام.

ويحكى أن بعض أصحاب الماشية كان يشوب اللبن ويبيعه على أنه خالص، فأرسل الله عليه سيلاً فذهب بالغنم، فجعل يعجب، فأتي في منامه فقيل له: أتعجب من أخذ السيل غنمك؟ إنه تلك القطرات التي شُبتَ بها اللبن اجتمعت وصارت سيلاً. فقس على هذه الحكاية ما تراه في نفسك وفي غيرك؛ تعلم حينئذ أن الله قائم بالقسط، وأنه قائم على كل نفس بما كسبت، وأنه لا يظلم مثقال ذرة...

... وتأمل حكمة الله عز وجل في حبس الغيث عن عباده وابتلائهم بالقحط إذا منعوا الزكاة، وحرموا المساكين، كيف جُوزوا على منع ما للمساكين قبلهم من القوت بمنع الله مادة القوت والرزق وحبسها عنهم، فقال لهم بلسان الحال: منعم الحق فمُنِعْتُم الغيث، فهلا استنزلتموه ببذل ما لله قبلكم.

وتأمل حكمة الله تعالى في صرفه الهدى والإيمان عن قلوب الذين يصرفون الناس عنه، فصدّهم عنه كما صدّوا عباده صدّاً بصدّاً ومنعاً بمنع.

وتأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين وتسليط المتلفات عليها كما فعلوا بأموال الناس ومحقوها عليهم، وأتلفوها بالربا، جُوزوا إتلافاً بإتلاف. فقل أن ترى مُرابياً إلا وآخرته إلى محق وقلة وحاجة.

وتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويهم على ضعيفهم، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه. كيف سلط عليهم من يفعل بهم كفعالهم برعاياهم وضعفائهم سواء. وهذه سنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويعيدها كما بدأها.

وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولياتهم من جنس أعمالهم بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق وبخلوا بها عليهم، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس والوظائف. وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم. وليس في الحكمة الإلهية أن يولي على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم.

ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شاب لهم الولاة. فحكمة الله تأبى أن يولي علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فضلاً عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم. وكل من



الأميرين مُوجب الحكمة ومقتضاها.

ومن له فطنة إذا سافر بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الإلهية سائرة في القضاء والقدر ظاهرة وباطنة فيه كما في الخلق والأمر سواء. فإياك أن تظنّ بظنك الفاسد أن شيئاً من أفضيته وأقداره عارٍ عن الحكمة البالغة، بل جميع أفضيته تعالى وأقداره واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب. ولكن العقول الضعيفة محجوبة بضعفها عن إدراكها، كما أن الأبصار الخفّاشية محجوبة بضعفها عن ضوء الشمس. وهذه العقول الضعيفة إذا صادفها الباطل جالت فيه وصالت ونطقت وقالت<sup>(١)</sup> أه.

ولا يعني ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في آخر كلامه الرضى بظلم الظالمين أو تبرير ظلمهم وعدم إنكاره، كلا فليس هذا مراده رحمه الله تعالى، وإنما أراد التنبيه على سنة الله عز وجل في التغيير، وأن الله سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن ما يصيب الأمة من ظلم الولاة المتجبرين إنما هو بسبب ذنوب الناس، وظلم بعضهم لبعض، فجازاهم الله عز وجل بتسليط الظلمة عليهم. والله لا يحب الظالمين أفراداً وولاًة. وتمضي سنة الله عز وجل على الولاة الظلمة فيسلط الله تعالى عليهم من يقهرهم ممن هو أشد منهم قوة

(١) مفتاح دار السعادة ٢٦٢، ٢٦٣ باختصار يسير.



وفتكا. وهكذا حتى يعود الظالم إلى نفسه ويحاسبها ويبحث عن مكن الداء بها فيتخلص من الظلم والمظالم، وفي ذلك باب الفرج والنصر وزوال الظلم.

هـ- عندما ينتشر الظلم ويكثر بين العباد فإن النتيجة الحتمية لذلك هي انتشار البغضاء والأحقاد والشحناء بين الناس وعدم اطمئنان بعضهم لبعض، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك ألا وهو التنافس في الظلم والخيانة والغدر، والبحث عن أي فرصة تلوح للانتقام ورد الظلم بظلم مثله أو أشد، وهكذا يجر الظلم بعضه بعضاً، ويؤز الناس بعضهم بعضاً إليه حتى يقول قائلهم: (إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب).

ولا يخفي ما ينشأ في أجواء هذه المشاعر والمظالم من الفساد والشور والفرقة وتقطيع الأرحام وإنفصام أواصر الأخوة بين الناس. وتشتد هذه الفتنة حينما لا يوجد من يأخذ على يد الظالم ويأطره على الحق أطرا، وعندما تصل الأمة إلى هذا المستوى فإنه يصدق عليها قول الرسول ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)<sup>(١)</sup>.

(١) أبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٢١٦٩).

وقوله ﷺ : (إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منهم) (١).

وقد جرت سنة الله عز وجل على أن أي قوم تماثلاً أو على ظلم غيرهم وتعاونوا فيما بينهم على الإثم والعدوان فإن الله عز وجل يجازيهم بجنس فعلهم ويؤول أمرهم إلى الفرقة والاختلاف وعدوان بعضهم على بعض أو يسلط عليهم من يظلمهم من خارجهم.

و- عندما ينتشر الظلم ويكثر في أمة من الأمم، ويأكل القوي فيها الضعيف ويذل الوجهاء والمثأ فيها عامة الناس فإن الأمة بمرور الوقت تستمرى الذلة والمهانة وتصبح مهياة لتسلط الأعداء وقبول التبعية لهم والاستخذاء، كما تضعف روح المقاومة والعزة فيها، وهذا أمر مشاهد ومعروف في القديم والحديث؛ فما من أمة تستمرى الظلم وتكثر المظالم في جنباتها ولا يوجد فيها من يرفع هذا الظلم ويغيره، إلا ونرى الأعداء المتربصين بها قد استباحوها وجاسوا خلال الديار فيها دون أدنى مقاومة أو مدافعة من أبنائها. وذلك لما وصلوا إليه من الذل والضعف والمهانة الناشئة من كثرة الظلم والبغي الذي حطم النفوس وقضى على مشاعر العزة والاستعلاء فيها. وهذه سنة الله عز وجل التي قد خلت في عباده.

(١) الحاكم ٩٦/٤ مع اختلاف في بعض الألفاظ. وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وقد حذر الله عز وجل عباده من التنازع والخصومات وبين أنها سبب الفشل وذهاب الريح ونزع المهابة من قلوب الأعداء؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].

وحيثما ينتشر الذل والمهانة في أبناء الأمة بسبب ظلم بعضهم لبعض فإن مرض الوهن وعدم النصح في العمل وضعف الأداء والعطاء والاتكالية تكثر فيها، وبالتالي تصبح أمة معتمدة على غيرها يكثر فيها البطالون والمتسولون والغشاشون.

\* \* \*

## ثانياً: الآثار الأخروية.

إن ما ينتظر الظالم من الحساب الشديد والعذاب الأليم يوم القيامة لهو من الفظاعة والشدة مما تهون في جانبه جميع العقوبات الدنيوية الآنفة الذكر، وقد يملي الله عز وجل للظالم ويستدرجه ولا يرى الناس عقوبة ظلمه في الدنيا، لكن الله عز وجل له بالمرصاد يوم الفصل والحساب، يوم الحسرة والندامة، يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً. والعذاب الذي ينتظر الظالم يوم القيامة تتفاوت شدته حسب نوع الظلم الذي ارتكبه وحسب شناعته.

○ فإن كان الظلم الذي مات عليه هو الشرك بالله عز وجل والكفر به، فإن الجزاء هو الخلود الدائم في نار جهنم أعادنا الله منها. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [النساء: ١٦٨] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٩] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] .

ومع خلود المشركين الظالمين في النار فإن شدة عذابهم أيضاً تتفاوت حسب ما قاموا به من الإفساد والصد عن سبيل الله عز وجل، فمن كان كفره على نفسه ولم يضل به غيره ولم يصد عن الحق،

ويقاتل أهله فإن عذابه وإن كان مخلداً في النار أهون من ذلك الذي كفر بالله سبحانه وأضاف إلى ذلك الصد عن سبيله وظلم عباد الله تعالى بشتى أنواع الظلم كما في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى مهدياً للظالمين ومسلماً للمظلومين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢] مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٥].

○ وإن كان الظلم دون الشرك الأكبر وهو يتعلق بحقوق العباد والعدوان عليهم في أديانهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم فإن الحسرة ستكون على الظالم عزيمة؛ وذلك حين يرى حسناته وقد تقاسمها الغرماء المظلومين، هذا يأخذ منها وهذا يأخذ منها. وقد تفتى الحسنات ولم يستوف الغرماء حقهم فيؤخذ من سيئاتهم فتطرح عليه حتى تكون سبباً في خفة ميزانه فيطرح في النار عياذاً بالله.

هذا، وإن كان دخوله لو دخل فيها غير مخلدٍ بسبب ما معه من التوحيد، لكن من يطبق ولو لحظة واحد في نار جهنم، فما أعظمها

من حسرة على الظالمين وما أشدها من خسارة وهم يرون حسناتهم وقد طارت هنا وهناك، وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من دخول النار. ويكفيينا من ذلك موعظة الرسول ﷺ في حديث المفلس؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث أكبر رادع للعبد الضعيف عن ظلم العباد والاعتداء عليهم في دين أو نفس أو عرض أو مال، ولو زلت القدم في يوم من الأيام وحصل منه ظلم لأحد من الناس، فالتعین عليه المسارعة في رد الحقوق إلى أهلها والتحلل منهم في الدنيا قبل أن يموت هو أو يموت صاحب الحق ثم لا يكون بعد ذلك إلا القصاص يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (من مات وعنده مظلمة لأخيه من عرضه وماله فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه حيث لا يكون دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ له منه بقدر مظلمته، وإلا

(١) مسلم في البر والصلة (٢٥٨١) وقد سبق ص ١٦٠.

أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه) (١).

○ أما إذا كان الظلم فيما دون الشرك وفيما بين العبد وربه دون اعتداء على العباد كسائر المعاصي والكبائر الفردية فهذه قد سبق الحديث عنها وأن العبد لو تاب منها في الدنيا توبة صادقة فإن الله يغفر الذنوب جميعاً، ولو وافى ربه يوم القيامة مصراً عليها فإنه تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه وطهره ثم أخرجته من النار بما معه من التوحيد والإيمان. وقد تدركه واحدة أو أكثر من أسباب رفع العقوبة عن صاحبها المستحق لها فلا يدخل النار لكن بعد الشدائد والمخاوف والأهوال التي يمر بها يوم القيمة والتي هي من أسباب رفع عقوبة الذنب ولكن من يطيق ذلك؟ ومن يدري هل تفي هذه الأسباب أو تعجز عن محو زلاته فيدخل النار. إن السلامة هي في ترك المعاصي وما يسخط الله عز وجل.

وإذا ضعفت النفس وأملت بشيء من ذلك فالمتعين على العبد المبادرة إلى التوبة النصوح في الدنيا لعل الله عز وجل يتوب عليه ويؤمنه من المخاوف يوم القيامة.

\* \* \*



## المبحث الرابع

### ذكر بعض الأسباب المعينة على توقي الظلم

والمقصود بالظلم هنا جميع أنواعه وصوره والتي سبق شرحها وتفصيلها في المباحث السابقة.

وإن مما يعين على معرفة الأسباب التي يتقن بها الظلم العلم بالأسباب التي تدفع إليه وتوقع فيه؛ وهي كثيرة ومتنوعة لكنها لا تخرج في أصلها عن الأسباب التالية:

(١) الشبهات التي تنشأ من قلة الفقه بالدين والتي تؤدي إلى التأويل الفاسد والاجتهاد الخاطئ.

(٢) القوة الشهوانية التي تنشأ عن حب الدنيا ومناصبها ومتاعها الزائل.

(٣) القوة الغضبية التي تنشأ عن الكبر والحقد والحسد وحب الانتقام والعلو في الأرض.

هذا وإن كان السببان الثاني والثالث يجمعهما شيء واحد؛ ألا هو الشهوة والهوى إلا أن أفراد القوة الشهوانية عن القوة الغضبية يساعد على فهم الأسباب بشكل أدق.

○ فمن صور الظلم التي مرت بنا وتنشأ عن الشبهات:

ما يقع فيه بعض جهلة المسلمين من المعاملات المحرمة التي فيها ظلم وهضم لحقوق الناس؛ إما جهلاً منهم بحرماتها كمن يجهل حرمة بعض البيوع المحرمة، أو تأولاً منهم في بعض الممارسات في كونها من باب الحزم والضبط وهي في حقيقتها ظلم وبغي.

أو ما يقع فيه كثير من الناس فيما يبرمونه من العقود بينهم؛ حيث يحصل التفريط في كتابتها اعتماداً منهم على الثقة وحسن الظن غافلين عما ينشأ عن ذلك من الاختلافات والخصومات، ولا يخفى أيضاً ما للشبهات من أثر في ظلم النفس ببعض المعاصي والبدع والشركيات.

○ ومن صور الظلم التي تنشأ عن القوة الشهوانية النابعة من حب الدنيا ومتاعها الزائل ما يحصل بين الناس من العدوان على أعراضهم وأموالهم والبغي على الناس في ضرورياتهم، ومهادنة الظلمة وأصحاب الجاه والسلطان في سبيل الحصول على منصب أو مال أو جاه، كما لا يخفى أثر الشهوة في الوقوع في ظلم النفس بالمعاصي والكبائر التي قد تصل إلى الشرك الأكبر.

○ ومن صور الظلم التي تنشأ عن القوة الغضبية: التكبر على الناس وامتلاء القلب بالحقد والحسد عليهم؛ واللذان يؤديان إلى غيبتهم والنميمة عليهم وظلمهم في أبدانهم بقتل أو ضرب أو سجن

أو أي أذى جسمي أو نفسي مرده إلى حب الانتقام وشفاء الغيظ والغضب والاستعلاء في الأرض، كما يظهر أثر القوة الغضبية في ظلم النفس بالمعاصي الأخرى والتي قد لا يكون فيها ظلماً للغير، كرد الحق، والعجب بالنفس وأنها فوق الأخطاء، ... الخ.

وبعد هذه المقدمة عن أسباب الوقوع في الظلم نعرض الآن إلى ذكر بعض الأسباب المعينة على توقي الظلم ومن أهمها:

### الأول: الفقه في الدين والالتزام بالأحكام الشرعية

إن الفقه في دين الله عز وجل عقيدة وأحكاماً يقي من كثير من صور الظلم التي منشؤها الجهل والشبهات. ويمكن تصور أثر ذلك في ظلم النفس بالوقوع في بعض البدع التي يحسبها أهلها من الدين ويتعبدون لله عز وجل بها، وقد يظلمون الناس بتضليلهم بها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وقد أتوا من جهلهم بالسنة وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام. وليس هناك أنفع من التفقه في الدين ومعرفة ما كان عليه سلف الأمة لاتقاء هذا النوع من الظلم، بل قد يقع بعض الناس في الظلم الأعظم بسبب جهلهم بتوحيد الله وأسمائه وصفاته. كما يظهر أيضاً أثر الفقه في الأحكام الشرعية في اتقاء بعض صور الظلم التي تقع بين الناس في معاملاتهم والتي منشؤها الجهل بحرمتها أو الجهل بشروطها؛ كمن يجهل حرمة بيوع الغرر والجهالة، أو يجهل شروط البيع، أو يجهل حرمة بعض أنواع الربا... إلخ. وإن

الجهل والشبهات والاجتهادات الخاطئة التي توقع أصحابها في الظلم وهم لا يشعرون لتزول بالعلم الشرعي والفقهاء الدقيق في الأحكام.

هذا إذا لم يمتزج مع هذه التأولات والاجتهادات شهوة وهوى يغالط فيها الظالم نفسه ومن حوله في كونه منطلقاً من الشرع والدليل فمثل هذا لم يؤت من جهله بالحكم ولا من تأول سائغ، وإنما أتى من شهوته التي يعلم في قرارة نفسه أنه فيها ظالم متعدد لكنه يغالط عباد الله سبحانه في كون ما قام به ليس ظلماً وإنما هو مستند إلى أصل شرعي، وتأول صحيح، ثم يأخذ في تأصيل ظلمه وإخراجه في صورة الحزم والضبط وعدم التفريط في الأمور... إلخ.

كما أن كثيراً من الخصومات والتعديت التي تحصل بين الناس إنما تنشأ في معاملاتهم من عدم التزام أحكام الله عز وجل وتوجيهاته الرحيمة بهم وأوضح مثال لذلك: أمره سبحانه بالكتابة بين الناس في مدينتهم وحقوقهم حتى لا يحصل الاختلاف والظلم بينهم؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وبين سبحانه رحمته وحكمته في هذا الأمر بقوله: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾... الآية، ولو أن الناس التزموا في عقودهم واتفاقاتهم بكتابة ما لهم وما عليهم وكتابة كل ما يتعلق بها من البنود والقيود والشروط لتلاشت كثير من المظالم والشكاوى والمرافعات التي تعج بها اليوم المحاكم الشرعية وغيرها،

والتي لم يسبق لها مثيل في التاريخ في كثرتها وتعقيداتها وتشابكها ومآسيها .

### الثاني: تذكر الآثار والعقوبات التي تحل بالظالمين في الدنيا والآخرة

إن تذكر العقوبات التي تحل بالظالم في الدنيا والآخرة جزاء ظلمه والتي سبقت الإشارة إلى بعضها في المبحث السابق لهي من أنفع الأسباب في اتقاء الظلم والإقلاع عنه؛ فإذا تذكر الظالم مصارع الظالمين، وما يجره بظلمه على نفسه من الشقاء وعلى أمته من المفساد العظيمة في الدنيا من قلة البركة واضطراب الأمن وانتشار الفساد وتسلط الأعداء وإثارة الشحناء والأحقاد والتدابير والتباغض بين الناس؛ إذا فكر في ذلك كله فإن العاقل المحب لنفسه ولأتمته الخير يقلع عن الظلم ويحذره أشد الحذر حتى لا يكون شؤماً على نفسه وأتمته، وإذا كانت هذه الآثار الدنيوية كافية للعاقل في اتقاء الظلم وتركه فكيف إذا انضم إليها عقوبة الله عز وجل للظالمين يوم القيامة والتي تهون عندها كل العقوبات الدنيوية التي سبقت الإشارة إلى بعضها. إي والله إن عقوبة الظالم في الآخرة لا تُعد عقوبات الدنيا في جانبها شيئاً، ذلك في يوم الحسرة والندامة وتطير الحسنات عن صاحبها الظالم إلى غرمائه، وذلك يوم التلاق، يوم يلتقي الظالم بالمظلوم، يوم تجتمع الخصوم بين يدي الله عز وجل فيفصل بينهم بميزان عدل وقسط لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا  
وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأشد الناس حسرة وعقوبة على ظلمهم يوم القيامة أولئك الذين  
ظلموا الناس بإضلالهم وإبعادهم عن صراط الله المستقيم، فما أشد  
حسرة التابع والمتبوع.

قال الله تعالى: ﴿إِذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ  
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرًا مِنْهُمْ  
كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ  
النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

والحاصل أن من أكبر الزواجر والموانع عن الظلم عدم الغفلة عن ما  
ينتظر الظالم من العقوبات في الدينا، وما ينتظره من الحسرات عند  
الموت وعند قيام الأشهاد، فوق ما يحمله الناس له في الدينا من البغض  
والكراهية وتمني زواله وتعرضه لدعاء المظلومين الذين ليس بين دعائهم  
وبين الله حجاب كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ بقوله: ( ... واتق  
دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب )<sup>(١)</sup>.

ومن العجائب أن يوجد من الظالمين من يعرف هذه الآثار أو يذكر  
بها ولكنها لا تؤثر فيه شيئاً، بل يستمر في ظلمه، ويغتر بإملاء الله عز

(١) سبق تخريجه: ص: ٢٤.



وجل له واستدراجه . والسبب - والله أعلم - في هذه القسوة والإعراض هو الركون إلى الدنيا ومتاعها الزائل والغفلة عن الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب . ومن هنا تجدر الإشارة إلى أثر الآخرة وعدم نسيانها والغفلة عنها في ترك الظلم والحذر منه، فاليقين بالآخرة وأنها الحياة الأبدية السرمدية التي يجب الاستعداد لها من أكبر الوسائل التي تبعد المرء عن الظلم بشتى صورته . ولكن تذكر الآخرة لا يؤدي دوره حتى ينضم إليه الحذر الشديد من الانفتاح على الدنيا وزهرتها وبخاصة في زماننا اليوم الذي كثرت فيه المظالم، وعز فيه المال الحلال، وتنافس الناس على الدنيا وتدابروا وتباغضوا، بل وتقاتلوا من أجلها . فحري بمن يحب لنفسه الخير أن يحذر ما فيه عطب نفسه في الآخرة ويرضى منها بالكفاف، ولا ينسى الآخرة وأهوالها وحسراتها؛ إن من هذا شأنه في عدم الغفلة عن الآخرة والزهد في الدنيا هو الذي ينتفع بموعظة الله عز وجل فلا يلبس إيمانه بظلم ولا يظلم عباد الله تعالى؛ قال الله تعالى في وصف من ينتفع بمصارع الظالمين وهلاكهم:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٣ - ١٠٥] .

وإن من أهم ما يزهده فيه من الدنيا حب الرئاسة والإمارة لأنها في الغالب تدفع صاحبها إلى الظلم للوصول إليها، وإذا وصل إليها وتأمر على من تحته صب ظلمه عليهم إلا من رحم الله تعالى ووفقه للعدل



والقسط بين الناس، والإمارة قد تكون ولاية أو قضاء أو وزارة أو شركة أو أي عمل فيه رئيس ومرؤوس<sup>(١)</sup>.

**الثالث: الابتعاد عن الظالمين ومجالسهم ومصاحبة الصالحين**

**المقسطين**

لا أحد يشك في تأثير الصاحب والجليس على مجالسه؛ وبخاصة إذا كان الجليس يتميز عن جليسه بقوة أو غنى أو جاه أو رئاسة أو نحوها، ويزداد التأثير بشكل أقوى إذا كان المجالس بحاجة إلى جليسه في ماله أو جاهه. وقد قال الرسول ﷺ: ( المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)<sup>(٢)</sup>، فإذا كان جلساء المرء من شأنهم الظلم لأنفسهم بالشرك أو ما دونه من المعاصي أو من شأنهم ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم فإن أحداً لا يماري في تأثر المجالس لهم شيئاً فشيئاً بأخلاقهم وممارساتهم إلا أن يكون هو الأقوى فيؤثر فيهم وينكر عليهم. لأن المرء لا بد أن يؤثر أو يتأثر، وإذا لم يستطع أن يؤثر ولا ينكر فإنه لا يجوز له القعود معهم وإلا صار منهم بسكوته على ظلمهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ

(١) ولا يفهم من هذا الكلام ترك هذه المسؤوليات بإطلاق، وإنما أردت التحذير لمن ابتلي بشيء من هذه الفتن من الوقوع في الظلم وتبعاته لأنها تدفع أصحابها في الغالب إلى الظلم، وقليل هم الذين يعدلون ويصلحون.  
(٢) أبو داود في الأدب (٤٨٣٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٧٩).

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقد حذرنا الله عز وجل من جليس السوء وما يجبر على مصاحبه من الحسرات يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

كما حذرنا سبحانه من الركون والميل إلى الظالمين بقوله: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٣].

يلق الشيخ السعدي رحمه الله تعالى على هذه الآية فيقول: «ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون: الميل والانضمام إليه بظلمه، وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم، وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظالم، فكيف حال الظلمة؟! نسال الله العافية من الظلم» أهـ<sup>(١)</sup>.

«وحكي أن الموفق صلى خلف إمام، فقرأ بهذه الآية، فغشي عليه، فلما أفاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم، فكيف بالظالم؟!»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير السعدي عند الآية (١١٣) من سورة هود.

(٢) تفسير القاسمي عند الآية السابقة من سورة هود.

وقال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: «الظالم والمعين علي الظلم والمحب له سواء»<sup>(١)</sup>.

والحاصل من كل ما سبق أن من أقوى الأسباب التي توقع المرء في الظلم بشتى صوره مجالسة الظالمين لأنفسهم والظالمين لعباد الله تعالى، والشواهد تدل على ذلك؛ فما من أحد ركن إلى الظالمين من أهل الجاه والمال والسلطان وصاحبهم وأمسى وأصبح وهو يرى ظلمهم دون إنكار منه إلا صار مع مرور الوقت يستمرئ هذا الوضع ويتعايش مع هذه الأجواء الظالمة شيئاً فشيئاً حتى يألفها ويصبح في نهاية الأمر من حماة الظلم وأعوان الظالمين، وهذا شيء ملاحظ في جنود الظلمة وأعوانه حيث أصبحوا آلة في أيدي الظلمة ينفذون بهم ما يشاؤون من الظلم. وقد لا يجهلون أن ما يقومون به ظلمٌ لكن حب الدنيا والعيش في أجواء الظلم وأهله يروض النفوس ويخدرها حتى لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً إلا ما أشربت من هواها، وهذا شأن الفتن التي أخبر النبي ﷺ أنها تعرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً.

ولذا فمن أعظم الأسباب التي يتقى بها الظلم الفرار من الظلمة ومجالسهم وعدم شهود مظالمهم إلا من أراد رفع مظلمة أو إنكار ظلم أو مناصحة للظالمين دون الاستئناس معهم؛ فهذا مما يؤذن فيه، وهو

(١) مساوي الأخلاق للخرائطي: ص ٢٧٩.

على كل حال محكوم بقاعدة تعارض المصالح والمفاسد . وفي نفس الوقت يبحث عن أهل الخير والصلاح والعدل ويلزم غرزهم ويعيش في أكنافهم ويقتدي بسيرتهم العادلة، كما أن عليه أن يكثر من قراءة سير السلف الصالحين الذين هدوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وكان فيهم من الورع والزهد ما كانوا به ينصفون من أنفسهم ولا يظلمون الناس شيئاً، فالإكثار من مصاحبة الصالحين وقراءة سيرهم الزكية يربي في النفس العدل وكرهية الظلم والخوف من عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة .

**الرابع: فهم أسماء الله عز وجل وصفاته العلى والتعبد له سبحانه بها .**

وهذا السبب فرع عن السبب الأول المتعلق بالفقه في دين الله عز وجل عقيدة وأحكاماً، ولكن لأهميته رأيت إفراده هنا في سبب مستقل .

إن العارف بالله عز وجل وأسمائه وصفاته ولوازمها وآثارها يختلف عن الغافلين عن هذه المعارف العظيمة؛ فلاتراه إلا متعبداً لله عز وجل بهذه الأسماء الحسنی والصفات العلی . ومن هذه الأسماء والصفات التي تعين على اتقاء الظلم وتبعاته أسمائه سبحانه: السميع، والعليم، والبصير، والقدير، والقاهر، والرقيب .

إن من تأمل هذه الأسماء الحسنی وتديرها وتعبد لله عز وجل بها فإنها لابد أن تحجزه عن الظلم بأنواعه كلها؛ سواء ظلم النفس بالشرك الأكبر، أو ظلمها بما دون ذلك من المعاصي، أو ظلمها بالاعتداء على حقوق العباد والإضرار بهم. ذلك أن أسماءه سبحانه: السميع، العليم، البصير، الرقيب كلها تورث في القلب مراقبة الله عز وجل والشعور بعلمه وسمعه وبصره وشهوده لكل ما يعمله العبد، فمن تعبد لله عز وجل بهذه الأسماء أورثت عنده الخوف من الله عز وجل الذي يورث بدوره الكف عن ما يسخطه من المعاصي كبيرها وصغيرها.

كما أن التعبد لله عز وجل بأسمائه التي تدل على القدرة العظيمة التي لا يعجزها شيء وعلى قهره سبحانه لكل شيء، يورث ذلك كله الانكفاف عن ظلم العباد في نفس أو مال أو عرض؛ لأن الظلم في الغالب يقع من القوي القادر على الضعيف العاجز فإذا تذكر الظالم أن قدرة الله عز وجل فوق قدرته وأنه سبحانه القاهر فوق عباده وأن ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إذا تذكر ذلك كله فإن هذا مما يردع المرء عن الظلم ويكفه عنه ويزجره.

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى بعض عماله:  
«أما بعد: فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذا ذكر قدرة

الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك»<sup>(١)</sup>.

ويوضح الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أثر الأسماء والصفات في الكف عن المعاصي والمظالم فيقول: «والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين؛ فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها.. فعلم العبد بسمعه تعالى وبصره، وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه ويرضاه...»<sup>(٢)</sup> أه.

**الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى.**

إن الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة وتدل عليه الشواهد والوقائع أنه ما من أمة تقوم فيها شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرتفع فيها علم الجهاد إلا ويزول عنها كثير من صور الظلم ومظاهره ويسودها العدل ويرتفع الذل والهوان فيها، ويحل محل العزة

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٣١.

(٢) مفتاح دار السعادة ص: ٤٢٥ (باختصار).



والألفة والموالة بين أبنائها؛ لأن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقضى على الفساد والمظالم التي تقع على الناس في أديانهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وبالجهاد يرتفع الظلم عن المظلومين المضطهدين، وبالجهاد يقضى على الفتنة في الدين ويتم إنقاذ المستضعفين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥]، وقال عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]. ويذكر لنا الله عز وجل تلك العلاقة الطردية بين موالة المؤمنين بعضهم لبعض وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

ويقول الرسول ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم) (١).

(١) أبو داود في البيوع والإجازات (٣٤٦٢)، وقال محقق جامع الأصول: هو صحيح.



من خلال النصوص السابقة يتضح لنا الأثر العظيم لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اتقاء الظلم ورفعته إذا وجد بين الناس؛ لأن الأمة التي يؤخذ فيها على يد السفيه والظالم فيردع عن ظلمه، وينصر فيها المظلوم، ويعلم الظالم أنه متى ما ظلم وطغى وبغى فإن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر له بالمرصاد، إن الأمة حين تكون بهذه المثابة فإن الناس يعيشون آمنين على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحينها يقل الظلم بين الناس ويعيشون في ألفة وسلام ومحبة وإخاء، ويوالي بعضهم بعضاً، ويجتمعون على عداوة الكافرين والمنافقين الذين يتربصون بهم الدوائر. وبذلك تحيي العزة في النفوس، ويزول الذل والوهن والضعف، وتكون مهياةً للجهد في سبيل الله عز وجل.

وهنا مسألة مهمة أرى أنها جديرة بالذكر في هذا المقام ألا وهي أثر الحكم بشرع الله عز وجل والتحاكم إليه في رفع الظلم واتقاء المظالم، والتلازم الشديد بينهما؛ فحيثما كان الحكم بشرع الله عز وجل في حياة الناس فإن العدل والأمن والطمأنينة تسود حياتهم وفي مثل هذه الأجواء يقل الظلم والظالمون، وعلى العكس من ذلك عندما يضعف الحكم بما أنزل الله أو يغيب عن حياة الناس فإن مظاهر الظلم والعناء والشقاء تبدو في حياتهم واضحة للعيان، وهذا أمر معروف من سنن الله عز وجل في التغيير حيث إن ما يصيب الناس من ظلم بعضهم بعضاً أو ظلم الولاة لهم أو تسلط الأعداء عليهم وعلى ولايتهم، فإن

كل ذلك بسبب إعراضهم عن شرع الله عز وجل وعدم التزام أحكامه وإقامة حدوده، والآيات في هذا المعنى كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

كما أن هذا الأمر معروف أيضاً ومشاهد في حياة الأمم والمجتمعات؛ فما من أمة أعرضت عن شرع الله عز وجل وحكمت بغير ما أنزل الله تعالى إلا وظهر فيها من المصائب والمظالم والمفاسد ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولا يماري في ذلك إلا مغالط مطموس البصيرة.

ومع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهد في سبيل الله عز وجل يعد من أعظم الأسباب الرافعة للظلم والفساد، إلا أن هذه الشعيرة العظيمة يبقى أثرها محدوداً وضعيفاً في المجتمعات التي لا تحكم بما أنزل الله تعالى، ولا يظهر أثرها العظيم إلا حينما يجتمع القرآن والسلطان، ويهيمن على الناس شرع الله المطهر. ولا يعني هذا ترك الأمر والنهي في المجتمعات التي لا تحكم بشرع الله عز وجل! كلا، بل لا بد من الأمر والنهي ومدافعة الظلم والفساد حسب المستطاع، مع

العمل الجاد لإنكار المنكر الأكبر وإقامة المعروف الأكبر وهو توحيد الله عز وجل بالطاعة والاتباع المتمثل في الحكم بما أنزل الله ورفض شرع ما سواه حتى يكون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثرهما الإيجابي في حياة الناس، فيؤخذ على أيدي الظالمين والمفسدين، ويؤطرون على الحق أطراً بقوة القرآن والسلطان. وبذلك تختفي كثير من صور الظلم والفساد والعدوان.

### السادس: العفو عن الناس وترك الانتصار للنفس.

إن من أسباب الوقوع في الظلم والعدوان: البغي في رد الظلم وذلك في حال الانتقام من الظالم بدافع الغضب والغیظ فينشأ من ذلك عقوبته بأشد مما عاقب به، ومن هنا ينشأ الظلم ويولد بعضه بعضاً والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، هذا هو العدل. وأما الفضل ففي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقد مدح الله عز وجل العافين عن الناس بقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

ولما كان رد الظلم والانتصار للنفس من الظالم لا يقف في الغالب

عند حد المثل في العقاب بل إن شعور الغضب والانتقام يدفع صاحبه إلى تجاوز العدل في الانتصار ويوقعه في البغي والزيادة على المأذون له فيه، من أجل ذلك جاء الندب إلى العفو وترك الانتصار لما في ذلك من الأجر، ولما فيه من البعد عن الظلم والعدوان والذي لا يسلم منهما المنتصر لنفسه في غالب الأحوال .

وهذا الإمام ابن عون رحمه الله تعالى قد ضربه بلال بن أبي بردة بالسياط ومع ذلك لما جاءه قوم فقالوا له : يا ابن عون : بلال فعل كذا . فقال : إن الرجل يكون مظلوماً ، فلا يزال يقول حتى يكون ظالماً . ما أظن أحداً منكم أشد على بلال مني ، وكان بلال ضربه بالسياط ، لكونه تزوج امرأة عربية<sup>(١)</sup> .

والشاهد من هذه القصة تورع ابن عون رحمه الله تعالى عن الكلام . فيمن ظلمه خشية الزيادة على العدل فيقع في ظلم ظالمه وهو لا يشعر .

وإلى هذا يشير شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فيقول :

« ... والظلم محرم في كل شيء ولكل أحد ، فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً . بل الظالم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضاً... قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٧٠) .

عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ [الشورى: ٤٠]،  
وقد دل على هذا قوله في الحديث: (يا عبادي إني حرمت الظلم على  
نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)<sup>(١)</sup>.

فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحداً أحداً... ولهذا  
جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله، لكن  
المماثلة قد يكون علمها أو عملها متعذراً ومتعسراً ولهذا يكون  
الواجب ما يكون أقرب إليها بحسب الإمكان... ولهذا كان القصاص  
مشروعاً إذا أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتصاص في الجروح التي  
تنتهي إلى عظم وفي الأجزاء التي تنتهي إلى مفصل فإذا كان الجنف  
واقعاً في الاستيفاء عدل إلى بدله وهو الدية لأنه أشبه بالعدل<sup>(٢)</sup> أهـ.

ولكن هل الصبر والعفو عن الظالم ممدوح على الإطلاق أم أن الأمر  
فيه تفصيل؟

يقول الأستاذ محمود خزندار: «إن صفة التوازن التي تميز بها ديننا  
تجعل المؤمن في بعض المواطن متواضعاً متسامحاً؛ يعفو ويصفح، وإذا  
ما غضب يغفر، وفي مواطن أخرى تجده ألباً حريصاً على مروءته،  
مطالباً بحقه، مقتصاً من ظالمه، منتصراً من المسيء إليه، فمتى يكون  
الانتصار؟

(١) مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧).

(٢) شرح حديث «يا عبادي إني حرمت الظلم» ص ٤٩، ٥٠.

يوضح ابن العربي جواب هذا التساؤل بقوله: ( أن يكون الباغي معلناً بالفجور، وقحاً في الجمهور، مؤذياً للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل ) ويصف الحالة المقتضية للعفو فيقول: ( أن تكون الفلته، أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة، ويسأل المغفرة، فالعفو ها هنا أفضل ).

وقد استحسن القرطبي هذا التفصيل وأقره، وحمل الغفران على غير المصر وقال: ( فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الانتصار منه ) إلى أن قال ... ولا يجوز للمنتصر أن يتعدى على أخيه المسلم بأكثر مما أساء إليه، ولا يحق له أن يغمطه حقه، ففي رواية مسلم لحديث عائشة السابق تقول عائشة وفاء لضررتها التي كانت تساميتها في المنزلة عند رسول الله ﷺ: ( ... ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرّب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها، تسرع منها الفيئة )<sup>(١)</sup> وذلك أدب النبوة فمع مبادأتها بالسبب لم تتجاوز حد العدل، ولم تغفل عن أن تعذرها.

ويجب أن نفرق بين انتصارنا من أخينا الذي غلب خيره والانتصار من الظالم المصر أو الكافر المستكبر، وإذا توقعت أن انتصارك من

(١) صحيح مسلم (٢٤٤٢).



أخيك المسيء إليك قد يزيد الشر، ويوغل في التمادي وتفاقم الخطب فاسدد أبواب الشيطان، وقدر المصالح والمفاسد... وأما كظم الغيظ فمستحسن ومندوب إليه بعد التمكن من الظالم والقدرة عليه، وإذا علم صدق توبته وندمه، أو أنها زلة منه لم يصر عليها، فالعفو عنه عندئذ هو الأولى، أما عفو الضعيف فهو عفو المكره المستضعف ولا فضيلة فيه»<sup>(١)</sup> أهـ.

### السابع: دعاء الله عز وجل والإكثار من الأعمال الصالحة.

إن سؤال الله عز وجل العدل في الأقوال والأعمال واجتناب الظلم بشتى صوره لمن أقوى الأسباب في اتقاء الظلم والإقلاع عنه.

والعبد ضعيف وطبعه الظلم والجهل كما قال عنه ربه عز وجل: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [٧٢] [الأحزاب: ٧٢] ولو وكله الله سبحانه إلى نفسه طرفة عين لهلك وضاع وخسر، لذا فإن الاستعانة بالله عز وجل ودعائه والتضرع إليه في أوقات الإجابة تعين على النجاة من الظلم وأهله، فلا توفيق إلا بتوفيقه سبحانه، ولا نجاة من الشرور إلا بعونه وتسديده، فإذا انضم الدعاء مع الأسباب السابقة فإنها نافعة إن شاء الله تعالى في اتقاء الظلم والظالمين، ولو وقع العبد في شيء من الظلم فإن الله تعالى يوفقه للإقلاع منه والتوبة والإنابة.

(١) عن كتاب: هذه أخلاقنا: ص ٦٥ - ٧٠ باختصار.



ومن الأدعية الواردة في ذلك ما يلي :

○ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ) (١).

○ عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه) وفي رواية : (وأن أقترب على نفسي سوء أو أجره إلى مسلم؛ فله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك) (٢).

○ ما ورد في الدعاء الذي سمعه عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من رسول الله ﷺ وفيه : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْتِيكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ) (٣).

(١) أبو داود في الأدب (٥٠٩٤) وغيره من أصحاب السنن.

(٢) أحمد (١٠، ٩/١)، (٢٩٧/٢)، وأبو داود في الأدب (٥٠٦٧) وغيرهما.

(٣) النسائي في السهو (٥٥، ٥٤/٣).

كما أن الإكثار من الأعمال الصالحة والتقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض من أعظم الأسباب في حفظ جوارح العبد من أن يظلم بها نفسه أو يظلم بها الناس .

ويشهد لهذا ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال : ( من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بأحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . . . الحديث )<sup>(١)</sup> وحفظ الله سبحانه لسمع العبد وبصره ويده ورجله معناه أن لا تتصرف هذه الجوارح إلا في مرضاته ، وبهذا يتقوى الظلم وأسبابه .

\* \* \*

( ١ ) البخاري في الرقاق ( ٦٥٠٢ ) .

## خَاتِمَةٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي أنعم عليّ بتمام هذا البحث على ما فيه من الخلل والقصور، وأشكره سبحانه على ما يسر من معالجة بعض جوانب هذا الموضوع الخطير، ولعلي في هذه الخاتمة أن أخص أهم النتائج والنصائح التي ظهرت في المباحث السابقة، وذلك من خلال النقاط التالية:

(١) الشمولية في فهم الظلم وأنه ليس كما يفهمه بعض الناس ويقصرونه على أنواع محدودة منه؛ فلقد ظهر لنا من خلال البحث أن الظلم يشمل كل معصية لله عز وجل ولكنه يتفاوت حسب نوع المعصية التي عصي الله تعالى بها؛ فإن كان من جنس الشرك بالله عز وجل فهو أعظم الظلم وأكبره، ولو مات مرتكبه بدون توبة فإن الله تعالى لا يغفره له، أما ظلم النفس بما دون الشرك فصاحبه تحت المشيئة لو مات منه بلا توبة مع أن هذا الظلم أيضاً يتفاوت حسب كبر المعصية من صغرها وحسب تعدي المعصية إلى غير فاعلها من عدمه. لأن ظلم النفس بالمعصية التي لا يكون فيها ظلم للعباد أخف وأقرب إلى المحو من ظلم النفس بظلم العباد في أحد الضروريات الخمس؛ ذلك أن ظلم العباد فيه حقان: حق لله تعالى يزول بالتوبة والاستغفار، وحق للمخلوق لا يزول إلا بالتحلل منه والمسامحة.

(٢) كما ظهر لنا من خلال البحث الأنواع الكثيرة والدقيقة من ظلم العباد بعضهم لبعض بحيث أن الواحد منا لو فتش عن نفسه وممارساته وتعاملاته مع الناس - القريب منهم والبعيد - لوجد أنه متلبس بواحدة أو أكثر من هذه الصور المختلفة، وقد يكون قبل هذه المحاسبة ومعرفة هذه الأنواع الدقيقة يحسب نفسه بعيدة عن ظلم العباد والعدوان عليهم. وهذا التصور الزائف عن النفس وتبرئتها من الظلم إنما نشأ من النظرة المحدودة لظلم العباد في كونه ينحصر في الاعتداء عليهم بالقتل أو الضرب أو أكل أموالهم وغصبها فحسب، أو أنه يحدث في الغالب مع الأجانب والأبعد. لكن ما إن يحاسب الواحد منا نفسه وينظر إلى ظلم العباد بالنظرة الشرعية الشاملة والتي تنظر إلى الظلم بأنه الاعتداء على الناس في أديانهم أو أنفسهم أو عقولهم أو أموالهم أو أعراضهم، وأن الحذر منه يتأكد ويشتد مع الأقارب من والد وولد وزوج وزوجة وغيرهم، لأن مظنة التقصير في حقوقهم وتحمل تبعاتهم تكون أكثر من غيرهم؛ وذلك لالتصاق الدائم بهم ولما بينهم من الحقوق والواجبات والتي يعد التقصير فيها ظلماً لهم، فما إن ينظر الواحد منا هذه النظرة الشاملة إلا ويخشى أن يكون مع الظالمين وهو لا يشعر.

(٣) كما ظهر لنا أيضاً من خلال البحث أن ظلم العباد يتفاوت حسب ما يحدثه هذا الظلم من الأذى والضرر على المظلوم؛ فالظلم

الذي ينشأ عنه الضرر العظيم على الدين بكفر أو بدعة أو فسق أو غير ذلك أشد من الضرر الذي قد يقع على النفس أو المال، والظلم الذي يقع على النفس بالقتل أو نحوه أشد من الظلم الذي يقع على المال وهكذا.

بل إن الظالم الذي يتضرر بظلمه الواحد من الناس ليس كمن يتضرر بكلمته وعمله الفئام من الناس، فالذي يظلم الناس بغيبه أو نميمة أو شتم أو غير ذلك مما يتضرر به آحاد الناس ليس كظلم الذي يضل بكلمته المسموعة أو فلمه المشاهد الجموع الغفيرة من الناس سواء في ما يسببه من انحراف وشبهات في الدين أو ما يثيره من شهوات تفسد الأخلاق والسلوك. وهذا هو الذي تمت الإشارة إليه في ظلم التجار والإعلاميين لأمتهم مما يبثه الإعلاميون ويستورده التجار مما من شأنه إفساد الأمة بعامه في ضرورياتهم الأساسية التي جاءت الشريعة للحفاظ عليها وحمايتها مما يضر بها. ولنا أن نتصور تلك الأضرار والأثقال العظيمة التي يتحملها هؤلاء الظالمون في حق أمتهم وحق من أضلوهم بغير علم، وذلك يوم يعرضون على ربهم لا تخفى منهم خافية ويوم: ﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

(٤) قد يلاحظ التكرار في بعض صور الظلم وخاصة فيما يتعلق بظلم الإعلاميين والتجار للأمة وما يقومون به من ترويح للفساد وآلاته

ونشر للكتب والمجلات التي تفسد على الناس عقيدتهم وأخلاقهم، كما قد يلاحظ تكرارها عند الحديث عن ظلم الوالدين لأولادهم بجلبها إلى بيوتهم، وهذا التكرار مقصود لذاته، وذلك أن كل صنف من الأصناف السابقة قد ساهم بجهد أو أكثر في ظلم العباد من خلال هذه المجالات المفسدة لدين الناس وأعراضهم وأموالهم. فلوا أخذنا مثلاً جهاز التلفاز أو البث المباشر لوجدنا صرحه لا يقوم وأثره المفسد لا يصل إلى الناس في بيوتهم، إلا بأن يتعاون فيه مجموعة من الظلمة منهم الظالم الذي يخون أمانته وأمته ويمكن للمفسدين حتى يعتلوا هذه الصروح ويأذن لهم ليفسدوا في الأرض، ومنهم الإعلامي الظالم الذي يقدم للناس الكلمة المسموعة المشبوهة والفيلم المشاهد الذي يقتل الفضيلة ويحيي الرذيلة، ومنهم التاجر الذي ظلم نفسه وأمته وجعل كسبه من شراء وبيع هذه الأجهزة الخبيثة، وأصبح من المساهمين في ترويجها وتيسير وصولها إلى بيوت الناس، ومنهم ولي الأمر في أسرته الذي ظلم نفسه ومن ولاه الله أمرهم فأحضر باختياره هذه الأجهزة إلى بيته وصار كمن يخرب بيته بيده، وينتهي الظلم إلى ذلك المشاهد الغافل في البيت أو السوق لما يبثه هذا الجهاز من السموم، فهو الآخر لا يبرأ من الظلم حتى لو لم يكن سبباً في إحضاره أو شرائه، لأنه ظلم نفسه بسماعه أو رؤيته إلى ما حرم الله عز وجل، وكان بإمكانه رفضه واعتزاله.

وبهذا يُعلم شؤم هذا الجهاز وكم يشترك فيه من الظلمة وبالإمكان أن يقاس عليه أمثلة أخرى، وعلى ذلك فإن إعادة بعض الأمثلة في أكثر من صورة ليس هو من باب التكرار وإنما هو من باب التنبيه على أن مثلاً واحداً يمكن أن يوجد في أكثر من صورة حسب تعلق الظالم بهذه الصورة.

(٥) لعله قد تبين لنا بعد هذه الجولة السريعة عواقب وخطورة الظلم وآثاره السيئة في الدنيا والآخرة وأن واحدة من هذه الآثار والعواقب الوخيمة كافية لمن كان له عقل أن تحجزه عن الظلم والظالمين.

وإن العقوبة الأخروية التي تنتظر الظالم وبخاصة ما جاء في حديث «المفلس» لتهون في جانبه كل عقوبة. كيف لا؟! والظالم هنالك يقف بين يدي ربه تعالى عاري النفس والفؤاد وعاري الجسد وعارياً من كل شيء إلا من أعمال صالحة كان يعملها في الدنيا ويعلق أمله عليها بعد الله تعالى في الآخرة ثم هو يراها وقد تطايرت عنه إلى أهلها الذين ظلمهم في الدنيا بإضلال أو قتل أو ضرب أو شتم أو هتك عرض أو أكل مال أو غير ذلك مما فيه تعدٍ على حقوق العباد. وقد لا تفي أعماله الصالحة بحقوق الغرماء، مما يؤدي به إلى تحويل أوزار الذين ظلمهم إلى ظهره الضعيف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فحري بمن يحب لنفسه الخير ويمهد لها في الآخرة أن يفتش عن نفسه ما تنطوي عليه من المظالم صغيرها وكبيرها، فيسعى جاهداً قبل



مباغطة الأجل في التوبة من الظلم بأنواعه وصوره فما كان منه متعلقاً بالمعاصي التي بين العبد وربه فإن التوبة منها تكون بالعزيمة الصادقة على تركها والندم على فعلها وعدم العودة إليها، وما كان منها متعلقاً بحقوق العباد فلا بد من إرجاع الحقوق إلى أهلها والتحلل منهم وطلب المسامحة على التفصيل المذكور سابقاً في مبحث التوبة من مظالم العباد.

(٧) وكما أن في هذا البحث تحذيراً وتهديداً للظالم من مغبة ظلمه وعاقبة عدوانه في الدنيا والآخرة فإن فيه أيضاً عزاء وتسلية للمظلوم بأن لا ييأس ولا يذل ويضعف فإن له موعداً من الله عز وجل بنصره والانتصار له ممن ظلمه سواء رأى ذلك في الدنيا وإلا فهو مضمون عنده سبحانه في الآخرة يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة، ويوم يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ولذلك قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى عند قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]: «إن فيها تعزية للمظلوم ووعيداً للظالم»<sup>(١)</sup>.

(٨) لم أتطرق في هذا البحث إلى ظلم الكفار الأصليين من يهود ونصارى وغيرهم وإنما كان جل الكلام موجه إلى ما يصدر من

(١) حلية الأولياء ٤ / ٨٣.

المسلمين أو من يدعي الإسلام من الظلم والمظالم .

ولو أدخلت الكلام عن ظلم الكفار وكيدهم في هذا البحث لطال وتضاعف؛ إذ لا بد أن يفصل القول في ظلمهم الشديد المديد للمسلمين في تاريخهم الطويل ، ولا بد أن أتعرض لما يقومون به في عصرنا الحاضر من تقتيل وتشريد للمسلمين في كل مكان ولا بد من الحديث عن الموازين الجائرة التي تطبق على المسلمين وقضاياهم بينما يتبدل الميزان رأساً على عقب إذا كان في صالح أعداء المسلمين، وقد أصبح هذا مشاهداً ومسموعاً لكل ذي عين وأذن، ولا بد أن نفصل الكلام على هيئة الأمم المتحدة وظلمها البين للمسلمين، ومجلس الأمن الذي أصبح جل همه توفير الأمن لليهود وأعداء المسلمين... إلخ هذه المظالم التي يطول الكلام فيها وتخرج بالبحث عن مقصوده .

### وبعد

فهذا ما يسره الله عز وجل من الحديث حول هذا الموضوع الخطير الذي يهم كل مسلم ومسلمة عالماً كان أو متعلماً، عامياً كان أو مثقفاً، ذكراً كان أو أنثى .

أسأله سبحانه أن ينفعني به وإخواني المسلمين، وأن يتقبله مني في حياتي وبعد مماتي :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٩٤].

(اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت  
فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) (١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا  
محمد وآله وصحبه أجمعين

عصر يوم الإثنين ١٩ / ٣ / ١٤١٩ هـ

\* \* \*

(١) البخاري: في صفة الصلاة - باب الدعاء قبل السلام ٢ / ٢٦٥، مسلم

(٢٧٠٥) في الذكر والدعاء.

## فهرس المجلد السادس

- **المقدمة** ..... ١٢-٣
- أسباب اختيار الموضوع وأهميته ..... ٥
- خطة البحث ..... ١١
- **المبحث الأول: تعريف الظلم وبيان ما ورد في ذمه من**
- آيات وأحاديث** ..... ٣٠-١٣
- تعريف الظلم ..... ١٣
- الآيات الواردة فيه وتقسيمها إلى مجموعات .. ١٥
- أحاديث عامة في ذم الظلم وسوء عاقبة الظالمين . ٢١
- جملة من مواقف السلف من الظلم وخوفهم من  
سوء عاقبته ..... ٢٥
- **المبحث الثاني: أقسام الظلم** ..... ٢٠٩-٣١
- تقسيم الظلم إلى ثلاثة أقسام ..... ٣٣
- ظلم النفس بما هو دون الشرك، ولم يكن ظلماً  
للعباد هو ذنب يعرض صاحبه للعذاب إلا أن  
يغفره الله أو يكفر عنه بنحو أسباب  
عشرة ..... ٤٢
- **القسم الأول: ظلم النفس بالظلم الأعظم؛ وهو**
- الكفر والشرك بالله تعالى:** ..... ٧٤-٤٥
- الشرك ثلاثة أقسام ..... ٤٨
- ( ١ ) الشرك في الربوبية ..... ٤٨
- ( ٢ ) الشرك في توحيد الأسماء والصفات ..... ٥٠
- ( ٣ ) الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ..... ٥٠
- بعض أنواع الشرك في الإلهية والعبادة مثل:

- ٥٢ - المحبة، التوكل، الخوف.....
- ٥٣ - الرجاء، الصلاة، الدعاء.....
- ٥٤ - الذبح، النذر، الطواف، الاستعاذة الاستغائة...
- ٥٦ أنواع أخرى من الشرك في الألوهية: .....
- ٥٦ - الطاعة في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم (الشرك في الحكم).....
- ٥٦ - تولي الكفرة والمشركين وعدم البراءة منهم ومن شركهم.....
- ٦٩ - الشرك في الألوهية لا يخرج في جملته عن أنواع ثلاثة: .....
- ٦٩ - شرك في النسك والعبادة، شرك في الطاعة والحكم، شرك في الولاية وعدم البراءة من المشركين .....
- ٧١ - نواقض الإيمان الاعتقادية.....
- ٧٢ - نواقض الإيمان القولية.....
- ٧٣ - نواقض الإيمان العملية.....
- القسم الثاني: ظلم النفس بوقوعها في مظالم
- العباد:** ٧٧ ..... ٧٥-١٩٨
- ٧٧ - ظلم الناس يكون بمنع حقوقهم، أو فعل ما يضر بهم.....
- ٧٦ صور ظلم العباد:
- ٧٧ - الصورة الأولى: ظلم الأولاد لوالديهم.....
- ٨٣ - الصورة الثانية: ظلم الوالدين لأولادهم.....
- ٩١ - الصورة الثالثة: ظلم الأزواج لزوجاتهم.....
- ٩٧ - الصورة الرابعة: ظلم الزوجة لزوجها.....
- ٩٧ - الصورة الخامسة: ظلم أهل العلم والدعاة بعضهم لبعض.....
- ١٠٢ - الصورة السادسة: الظلم الذي يجب أن يحذره

- ١٢٠ ..... القضاة
- الصورة السابعة: ظلم أرباب الأعمال
- ١٣٦ ..... لعمالهم
- الصورة الثامنة: ظلم العمال لأرباب
- ١٤٣ ..... العمل
- الصورة التاسعة: من ظلم التجار للأمة
- ١٤٦ ..... الصورة العاشرة: من ظلم الإعلاميين للأمة
- ١٥٠ ..... الصورة الحادية عشرة: ظلم اليتيم
- ١٥٦ ..... الصورة الثانية عشرة: الظلم الواقع بين عامة
- ١٥٨ ..... الناس
- ١٥٩ ..... ١- أمثلة لظلم الناس في أديانهم
- ١٦٠ ..... ٢- أمثلة لظلم الناس في أبدانهم
- ١٦٥ ..... ٣- أمثلة لظلم الناس في أعراضهم
- ١٦٨ ..... ٤- أمثلة لظلم الناس في أموالهم
- ١٧٩ ..... – الصورة الثالثة عشرة: ظلم الحيوان
- ١٨٥ ..... – هل من سبيل إلى التوبة من حقوق العباد؟
- ١٨٧ ..... ١- التوبة من ظلم الناس في دينهم
- ١٩٠ ..... ٢- التوبة من ظلم الناس في أبدانهم وأنفسهم
- ١٩٣ ..... ٣- التوبة من ظلم الناس في أعراضهم
- ١٩٦ ..... ٤- التوبة من ظلم الناس في أموالهم

○ القسم الثالث: ظلم النفس بمعاص دون الشرك وليس

- ١٩٩-٢٠٩ ..... للعباد فيما حق :
- ٢٠٠ ..... الفرق بين الصغائر والكبائر
- ٢٠٣ ..... معنى لطيف لابن القيم في الكبيرة والصغيرة
- ٢٠٤ ..... أمثلة لبعض الكبائر

- مسألة: بعض الذنوب قد لا يختص بقسم واحد
- ٢٠٧ ..... من أقسام الظلم
- المبحث الثالث: ذكر بعض آثار الظلم وعواقبه
- السيئة..... ٢١٢ ٢٢٩-٢٠١
- أولاً: الآثار الدنيوية..... ٢١٠
- ثانياً: الآثار الأخروية..... ٢٢٦
- المبحث الرابع: ذكر بعض الأسباب المعينة على توقي
- الظلم..... ٢٣٢ ٢٥٢-٢٣٠
- الأسباب التي توقع في الظلم ثلاثة: الشبهات،  
القوة الشهوانية، القوة الغضبية..... ٢٣١
- من الأسباب المعينة على توقي الظلم:
- ١- الفقه في الدين والالتزام بالأحكام الشرعية... ٢٣٢
- ٢- تذكر الآثار والعقوبات التي تحل بالظالمين في الدنيا والآخرة..... ٢٣٤
- ٣- الابتعاد عن الظالمين ومجالسهم ومصاحبة الصالحين المقسطين..... ٢٣٧
- ٤- فهم أسماء الله عز وجل وصفاته العلى والتعبد له سبحانه بها..... ٢٤٠
- ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى..... ٢٤٢
- ٦- العفو عن الناس وترك الانتصار للنفس..... ٢٤٦
- ٧- دعاء الله عز وجل والإكثار من الأعمال الصالحة..... ٢٥٠
- الخاتمة..... ٢٥٣
- الفهرس..... ٢٦٢